كنز أجدادي

طنطاوي عبد الحميد طنطاوي

اسم الكتاب: كنز أجدادي وقصص أخرى

المـــــؤلف: طنطاوي عبد الحميد طنطاوي

الناشـــــر: بورصة الكتب للنشر والتوزيع

تصميم الغـلاف: عبد الحكيم صالح

التجهيزات الفنية: حسام أنيس

٢٥ شارع شريف- القاهرة

Email: adel.metwaly69@yahoo.com

٠١٠٠١٨٨٩٣٦٣- ٠٢/٢٣٩٢٠٣٦٩

رقم الإيداع : ١٩٠٠ /٢٠١٤

الترقيم الدولي: ٧- ٦٠ -٥٠١٦-٩٧٧-٩٧٨

طنطاوي ، طنطاوي عبد الحميد.

كنز أجدادي: قصص أطفال / طنطاوي عبد الحميد طنطاوي- ط١.- القاهرة: بورصة الكتب للنشر والتوزيع، ٢٠١٤ .

٨٠ص؛ ٢٤سم.

تدمك: ٧- ٦٠ -٥٠١٦-٩٧٧-٩٧٨

١- قصص الأطفال.

٢- القصص العربية.

أ- العنوان.

٨١٣.٠٢

إهداء

أتمنى لكم . . .

أماني . . . وإيناس . . . ومروة . . . ومنار . . . وميادة . . .

السعادة ، وطول العمر . . .

وتذكروا جدتكم رحمها الله ، وأفعالها ، وتعلموا . . .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
كنز أجدادي	٧
الغزال الذهبية	٢٣
بطل من سيناء	٤١
حكاية مسعود وابنه محمود	٥٣
فرسان طيبة	٦٧

كنز أجدادي

مدينة طيبة القديمة هي عاصمة مصر في العهد الفرعوني القديم وقبل ميلاد السيد المسيح بآلاف السنين .

عاش بها فراعنة مصر القدماء ، وموقعها اليوم مدينة الأقصر في جنوب مصر ، ومازالت آثار الفراعنة تدل على ما وصلوا إليه من علوم وفنون ، ففي الجانب الأول من النيل مازالت آثار معبد الكرنك شامخة ، وتماثيل الملوك والفراعنة ومسلاتهم ، وكذلك معبد الأقصر ووادي الملوك والملكات .

وعلى الجانب الآخر مازال الكثير من آثارهم رغم مضي آلاف السنين يتحدى الزمن ، مثل معابد الرامسيوم وهابو والدير البحري الذي شيدته الملكة العظيمة حتشبسوت بين جدران الجبل الصلد .

وعلى الجانب الآخر من النيل وما بين معبدي الرامسيوم والدير البحري ، وبعد مسافة قصيرة من تمثالي ممنون الجالسين رغم الشروخ التي كست أجزاء جسديهما تقع قرية صغيرة تحيطها الجبال من كل جانب ، في تلك القرية عاش الأستاذ درويش مدرس التاريخ بالمدرسة الإعدادية ، كان غريباً عن مدينة الأقصر ، جاء من مكان بعيد، كان المدرسون يعودون بعد انتهاء اليوم الدراسي لمدينة الأقصر ، أما الأستاذ درويش فقد أقام بالقرية ، كان عطوفاً على التلاميذ ، مشجعاً لهم ، كان يهب المتفوقين منهم هدايا ، كانت أكثر هداياه لهم الكتب .

كان يحث التلاميذ على النظافة ، كان يحبب إليهم الرياضة وممارستها، كان يجالسهم في أوقات الفراغ ، يتحدث إليهم في أمور كثيرة ويستمع إليهم فيبادلونه الحديث بكل حب ومودة ، وكثيراً ما كان يدير المباريات الرياضية بينهم في الفسحة ويحكم بين الفرق المتنافسة .

في يوم من الأيام فكر في إنشاء مركزاً للشباب ، فالأرض واسعة ، والبيوت متناثرة ، لم تَرُقْ الفكرة لأهل القرية ، رفضوا الفكرة ، استغرب الأستاذ درويش ، حاول أن يسألهم ، رفضوا أن يجيبوه ، تعجَّب من أمرهم وسأل نفسه " هل يكرهون أن يتعلم أبناؤهم الرياضة ويمارسونها ؟! " وجد إصرار غريباً من أهل القرية بالرفض، حتى إن منصور الأخرس الذي يخدمه أحياناً عرف سبب خوف أهل القرية منه ، وحذره بإشارات من يديه ، استطاع أن يفهم منها إنهم قد يقتلونه إنْ فكَّرَ في هذا الأمر .

وقد كان هذا هو السبب الرئيس في عزلته ، فابتعد عن الناس ، كان شغوفاً بقراءة الكتب المختلفة وأهمها كتب التاريخ ، عاش في منزل صغير من دور واحد بجوار المدرسة .

عندما ينتهي العام الدراسي ، يسافر الأستاذ درويش في الإجازة الصيفية ، ويغيب عن القرية ما يزيد عن شهر ، ويعود وهو يحمل حقيبة ثقيلة مملوءة بالكتب ، كان أبو الحمد وإسماعيل تلميذين مجدين ، وكثيراً ما أهداهما الأستاذ درويش الهدايا لتفوقهما في الدراسة والأنشطة المختلفة ، كان كلاهما يحب الأستاذ كثيراً ، وكثيراً ما كانا يذهبان إلى بيت الأستاذ ويتسامران معه ، كان كل التلاميذ يحبونه ويحترمونه .

جلس الأستاذ درويش يعد عدَّته للسفر ، كان بمفرده في المنزل ، سمع طرقات خفيفة على الباب ، أسرع يفتح الباب ، كان أبو الحمد وإسماعيل تلميذيه المجدان ، استقبلهما كعادته بترحاب ، تسامرا معه أكثر من ساعة ، تحدثوا في أشياء عديدة ، تناولا معه الشاي بالنعناع الذي يحبونه ، طلبا من الأستاذ أن يستعيرا كتابين من كتبه الثمينة ؛ ليستفيدا بهما في أوقات الفراغ ، في سعادة غامرة أسرع الأستاذ واختار لهما كتابين جميلين أحدهما في التاريخ والثاني في الأدب على أن يتبادلا الكتابين معاً ، وقفا ليستأذناه في الانصراف ، ودَّعهما حتى الباب ، قبل أن يودِّعاه ، تحدث أبو الحمد بعد تردد قائلاً : " يا أستاذ إننا نحبك ونحترمك"، ابتسم الأستاذ وقال : " وأنا أيضاً " ، أخرج أبو الحمد لفافة صغيرة ، ومد بها يده للأستاذ وهو يقول : " هذه هدية صغيرة أرجو أن تقبلها منا " ، وابتسم الأستاذ ، وقال : " ولكن ... " ، قاطعه إسماعيل قائلاً : " يقولون يا أستاذ إن الهدية لا ترد " ، بعد حديثهما الجميل تقبَّل الهدية وشكرهما ، ودعا له أن يعود بسلامة الله .

مضى أبو الحمد وإسماعيل وكانت سعادتهما غامرة ، كان الأستاذ درويش سعيداً جداً بدوره ، رغم إنه لا يعلم قيمة الهدية ، أحسَّ بأنهما مثل أولاده ، وضع الهدية فوق المنضدة الصغيرة ، تذكَّر الحقيبة التي يعدها للسفر ، أسرع ينظم حاجاته ، وضع كل شيء في موضعه ، وأعاد ترتيب الكتب ، كاد الليل أن ينتصف ، أحسَّ بالتعب وبميل شديد للنوم ، فالغد موعد سفره .

اقترب من المنضدة ، أمسك بالمصباح الزيتي ليطفئه ، وجد الهدية في مكانها فوق المنضدة ، لم يطفأ المصباح ، وسحب مقعداً وجلس ، فتح الهدية في هدوء ، لم يستطع أن يتعرف على الأشياء الموجودة في بادئ الأمر ، قرَّب المصباح أكثر ، وجد ورقة غريبة

من أوراق البردي القديمة مكتوب فوقها باللغة الهيروغليفية ، عبارة عن صور متتابعة ورموز في صورة أفقية ورأسية ، ووجد جعراناً لا يزيد طوله عن عشرة سنتيمترات ، كان الجعران في الحياة الفرعونية رمزاً من الرموز المقدسة ، وكان الفراعنة القدماء يعتقدون أن الجعران يجلب السعد ، وكان عند البعض يمثل عملات تذكارية ، تميز عصر الفرعون من النقوش المرسومة فوقه ، ووجد أيضاً تميمة غريبة الشكل عبارة عن عين ذهبية صغيرة الحجم معلقة ، بها شكل ذهبي لمفتاح الحياة ، أحد الرموز القديمة ، وكان من الذهب الخالص أيضاً ، كان بريق الذهب غريباً ، قرَّب التميمة مرة ثانية من المصباح ، وأخذ يتأملها وقد عقدت الدهشة لسانه ، لم يصدق ، فَرَدَ ورقة البردي عن آخرها ، أسرع إلى كتبه ، أخذ يبحث عن كتاب قديم ، بعد طول عناء وجد الكتاب ، كان الكتاب محتوياً على فك لبعض رموز الكتابات الفرعونية ، أخذ يفك الرموز ، وجدها عبارة عن بعض الأدعية والطقوس الدينية المدونة في كتاب الموتى الفرعوني القديم ، أغلق الكتاب، تتابعت الأسئلة ، كل هذه الأشياء خاصة بقبور الفراعنة، كانوا يضعونها بجوار موتاهم ، كم يبلغ ثمنها ؟ إنها لا تُقَدَّر بمال ، تجار الآثار يدفعون آلاف الجنيهات في مقابل هذه الأشياء الصغيرة ، إنها جريمة كبيرة، كيف يتقبل هذه الهدية ؟

ظنَّ الأستاذ درويش أن أبا الحمد وإسماعيل ربما سرقا هذه الأشياء، رغم أنه يعرف أمانتهما ويثق بهما كثيراً ، فقد كانا مثاليين ومهذَّبين ، أخذ ينظر للهدية الثمينة ، كان منظرها مبهراً وجميلاً ، أخذ يتأملها ثانية ويعيد التفكير ، لم يستطع النوم ، سمع أذان الفجر ، عزم على ألا يسافر ، غرق في أحلام كثيرة ، استيقظ قبل أذان الظهر بقليل، تناول إفطاره ، وارتدى ملابسه وخرج يبحث عن أبي الحمد وإسماعيل ، سأل

التلاميذ ، عرف أنهما يعملان في مزرعة قريبة على شاطئ النيل ، كلَّف أحد التلاميذ بأن يخبرهما بأنه في حاجة إليهما .

قضى اليوم كله مفكراً ، في المساء سمع طرقات على الباب ، أَسْرَعَ وفتح الباب ، وجد إسماعيل وأبا الحمد أمامه ، ما إن جلسا حتى أخرج هديتهما متسائلاً " ما هذه؟" .

أجابه إسماعيل " إنها هدية صغيرة " .

بضيق سألهما " من أين أتيتما بها ؟ " .

لم يُجِبْ أيٌّ منهما ، نظر كل منهما للآخر ولم يستطيعا الحديث ، اتهمهما بالسرقة ، دافع كلٌّ منهما عن نفسه ، أقسما أنهما لم يسرقا طوال عمريهما ، وأقسما أنهما دءوبين على الصلاة في مواعيدها ، فكيف يسرقان ؟ نظر أبو الحمد وإسماعيل لبعضهما ، لم يغضب أيٌّ منهما من حديث الأستاذ درويش واتهاماته لهما .

جلس الأستاذ درويش صامتاً ، لم يستطع أبو الحمد أن يتحمل أكثر من ذلك ، انطلق يقص على مسامع الأستاذ حكاية غريبة لم يسمع عنها من قبل .

مازالت القرية الصغيرة كلها بأرضها يملكها رجل ثري ، له حراس أقوياء مسلحين ببنادق آلية ، وله أعوان كثيرون ، قريباً من القرية يوجد لهذا الرجل بيت مشيّد جميل يحيطه من الخارج سور ضخم وحراسة مشدَّدة ، وكلاب تكاد تفتك بأي غريب يقترب من الجدار ، كل أهل القرية يرهبونه ويرهبون حراسه وكلابه ، رغم أن كل القرى المحيطة بهذه القرية تضاء بالكهرباء ، فإن الرجل الثري وأتباعه منعوا دخول الكهرباء للقرية ، والسبب في ذلك أن الجميع بعد أن يحل المساء يحفرون الأراضي الجبلية ، وكثيراً ما يجدون مثل هذه الآثار التي أهدياها للأستاذ ، وأثناء

حفرهم يقف فوق رءوسهم حراس الرجل الثري ، فيأخذون كل ما يجدونه ويهبونهم القليل من المال ، ولا يستطيع أيُّ إنسانٍ أن يطلبَ مزيداً من النقود ، كانت تلك الأعمال هي مصدر الرزق الرئيس لأهل القرية الفقراء ، ومن لا يطع الرجل الثري وحراسه يناله الكثير من الأذى ، وقد يطرده وأولاده من القرية أو قد يتهمونه بأي تهمة كاذبة ويلقونه في السجن، خضع الناس جميعاً لهذا الرجل وحرَّاسه ، أقبلوا على العمل مرغمين ، وقبل أن تشرق الشمس يسارعون بردم الحفر التي حفروها ، ويعود كل شيء إلى ما كان عليه ، وفي أحيان كثيرة يجدون تماثيل كبيرة الحجم ومتوسطة ، وفي أحد المرات تابوتاً ذهبي الشكل وبه نقوش غريبة ، أخذ أبو الحمد وإسماعيل يقصان كيف عثرا على هذه الهدية ، فقد حفرا بمفردهما وبعيداً عن أعين الحراس فوجدا تلك الأشياء ، وكان كلٌّ منهما يتمنى أن يقدم هدية للأستاذ ، ويودَّان لو أنهما لم يسرقا شيئاً ولم يعرفا بقيمة تلك الأشياء التي جلباها .

أسهبا في حكايتهما والأستاذ درويش منصت بانتباه بالغ ، وغير مصدق لكل ما يدور حوله ، عرف أن السبب في عدم إقامة مركز للشباب هي تلك الحفائر التي يحفرونها في المساء ، تبادل الثلاثة الحديث ، أخرج الأستاذ درويش مجموعةً من الكتب، وأخذ يتصفح الكتاب تلو الآخر ، حتى عثر على مراده ، أخذ يشرح لهما أن هذه الأشياء وتلك الآثار تخص جدودنا الفراعنة وهذه الآثار ملك لنا جميعاً ، وأنها تراث يجب أن نحافظ عليه ، أخذ يقلِّب صفحات الكتب أمامهما ، ويقرأ لهما حكايات عن التاريخ الفرعوني ، وكيف أن البعثات تأتي لتترجم معاني الكلمات والرموز المنقوشة فوق الجدران ، ويفكون عبارات الحكمة والمعرفة من فوق تلك الصخور الصمَّاء .

يأتي السائحون لبلادنا من مختلف أرجاء الدنيا ؛ ليشاهدوا معالم حضارتنا القديمة ، والسياحة تدر على بلادنا الكثير من الأموال ؛ لأن بلادنا بها ثلث آثار العالم كله ، بل إن هناك أشياء لم يستطع العالم معرفتها، ولم يستطع أن يفك طلاسمها رغم ما وصل إليه من علم وتقدم ، فالنقوش الفرعونية مازالت ألوانها زاهية ، والأهرامات مازالت لغزاً في بنائها وعظمتها ، وكل يوم يتهافت علماء الآثار والمصريات في محاولة تلو أخرى للكشف عن مكنونها ، وعلم التحنيط لغز يحير العقول ، فمازالت أجساد محنطة مختلفة بكامل هيئتها لم تتغير ولم يُكتشفْ سر التحنيط حتى هذه اللحظة ، حتى أعظم بلاد الدنيا سرقت المسلات الفرعونية وأقاموها في أشهر الميادين بها .

كان الأستاذ حزيناً وهو يتحدَّث ، أحسَّ إسماعيل وأبو الحمد بصدق حديث الأستاذ ، أخذ كل منهما يفكر فيما قاله ، فكل حديثه صواب ، مازال الأستاذ درويش يقلِّب في صفحات كتبه حتى عثر على مجموعة من الصور ، اقترابا منه أكثر ، وعلى ضوء المصباح ، صور كثيرة ، ولمسلات مصرية قديمة ، فقال بأسى بالغ لهما : ...

" انظرا ... ها هي أعظم عواصم العالم مدينة تفخر بأن تضع في بؤرة ميادينها الضخمة المسلات الفرعونية ... فتلك الصور في عواصم أمريكا وإيطاليا وفرنسا وغيرها من البلاد الأوربية ... " .

تألَّم الفتيان لحديث الأستاذ ، لكن ماذا يفعلان ؟

سأله أبو الحمد " لكن تلك الحفائر هي مصدر الرزق ؟ "

ضرب الأستاذ المائدة بقوة وصاح ...

" هل تبيع جثمان أبيك بعد أن يموت ؟ "

" هل تهجر أرض جدودك ؟ هل تبيع ما ورثته ؟ "

أجاب كل منهما بالنفي .

بعد فترة صمت ، قطعه الأستاذ درويش بحديث ، فإن تم إبلاغ السلطات بتلك الكنوز التي في جوف الأرض ستقوم الدولة يومها ببناء مساكن جديدة وحديثة للأهالي وتستعين البعثات القادمة لاكتشاف الآثار بالعمال للحفر والكشف ، قد يقومون متحفاً كبيراً يجمع كل الآثار ، يومها يتوافد الزوار والسائحون من كل بقاع الدنيا ؛ ليتمتعوا بتلك الكنوز ويزداد دخل الدولة ويعمّ الخير ، قد يشيدون فنادق تستوعب عمالاً وموظفين ، ويومها يعمل كل الناس وتدخل الكهرباء ويومها تصبح تلك القرية مزاراً وتنشط التجارة .

أخذ الأستاذ يستعرض أمامهما كل الأفكار ، وما قد ينجم عنها ، والخير الذي يهبط على الجميع ، لكن كيف يتم ذلك ؟ تذكروا الرجل الثري وقوته ، كل أهل القرية يخافونه ؛ فقد كان جباراً عنيداً متسلطاً قوياً، يملك السلاح والرجال والجميع له تابعين ، ظهر الحزن من جديد فوق وجوههم وعادوا لصمتهم .

كـاد الليل أن ينتصف ، طلب منهما الأستاذ أن ينصرفا ، سأله أبو الحمد عن موعد سفره ، أقسم بأنه لن يسافر من هنا حتى يتأكد مما يحدث في تلك القرية ، حذراه من الخروج ليلاً ، ضحك الأستاذ درويش بشدة ، أسند رأسه للخلف وراح يحدثهما عن أشياء خافية ، كيف كان مجنداً في القوات المسلحة المصرية ، كيف استطاع هو وزملاؤه أن يخترقوا صفوف العدو ، استمعا إليه بشغف وسعادة ، قصَّ عليهما بطولات خارقة شارك فيها مع كل أبطال مصر ، فعبروا قناة السويس وحطموا خط بارليف وأسروا الأعداء وهاجموا كل المواقع براً وبحراً وجواً ، وكيف صالوا وجالوا ، أحس كل منهما أنه أمام إنسان آخر غير الذي يعرفانه فزاد إعجابهما به وبشجاعته ،

أقسم أنه سيخرج وسيتأكد بنفسه من كل شيء ، ويعرف حقيقة السارقين ، سيفضح أمرهم ، نظر الفتيان لبعضهما ، يعلمان بأنه لا يعرف دروب القرية والجبال المحيطة بها بالنهار ، فكيف يعرفها في جوف الليل .

اخترق حديث الأستاذ وجدانهما ، غمرتهما الشجاعة ، أقسما بأنهما لن يتركاه يذهب بمفرده ، وافق أمام إصرارهما ، أخذ مصباحاً كهربائياً صغيراً ، حذره أبو الحمد من استخدام المصباح فضوء المصباح يفضحهما في ظلمة الليل ، تسللوا في هدوء حذر، اتخذوا دروباً بعيدة عن أعين الحراس ، مضى أبو الحمد في المقدمة ، وخلفه الأستاذ درويش وفي النهاية إسماعيل ، وصلوا إلى مشارف جزء مرتفع في طرف القرية ، نظروا فوجدوا جماعات متفرقة كل مجموعة تنقِّب وتبحث ، وحول كل مجموعة عدد من الحراس ، يحفرون في ضوء مصابيح صغيرة ، لم يصدق الأستاذ عينيه ، تأكَّد من صدق حديث الولدين ، عزم الأستاذ أن يرى سكن التاجر الثري ، ساروا من جديد ، اتخذوا طريقاً وعراً ، لم يجد أيٌّ منهم صعوبة في اجتيازه .

في الطرف الآخر من القرية وبعيداً بمسافة لا تقل عن كيلو متر واحد ، وفوق هضبة صغيرة تفصل ما بين المزارع الخضراء والصحراء الجرداء الزاخرة بالكنوز في جوفها ، شيَّد الرجل الثري منزلاً ضخماً ومن حوله سوراً ضخماً وكأنه قلعة حصينة ، المكان يتلألأ بالأضواء ، طافوا حول المكان وداروا دورة كاملة ، وفي أحد الأركان وقفوا ، بخفة ورشاقة قفز إسماعيل متسلقاً بعض الأحجار وصعد فوق السور الضخم وتبعه أبو الحمد ، أفسحا مكاناً للأستاذ ، استطاع بدوره أن يصعد بجوارهما .

تعودتا عين الأستاذ على الظلام ، فأخذ يتأمل المكان والفناء الضخم بحديقته الغنَّاء والمنزل الجميل الذي يتوسطها ، أشار أبو الحمد لمبنى صغير في نهاية السور ،

كان هذا المبنى مخزناً للغلال ، ولكنه أصبح مخزناً للآثار التي يعثرون عليها ، تعجب الأستاذ لعدم وجود حراسة ، أخبراه بأن الحراس وكلاب الحراسة يشاركون في عملية البحث والتنقيب ، ويخافون أن يهرب أحد العمال بأي شيء .

كان أبو الحمد يعرف كلَّ شيءٍ في المكان ، فكان له قريب يعمل في القصر ، وكان يذهب إليه ، أخذ يشرح باستفاضة على كل جزء فيه ، والأستاذ منصت له ومستمع لحديثه الخافت ، لم يشأ الأستاذ أن يعود مباشرة دون أن يصل لمخزن الآثار ، بعد طول عناء لم يستطيعا إقناعه بالعودة ، زحفوا فوق السور لمسافة قصيرة ، وبمساعدة فروع شجرة ضخمة استطاعوا أن يهبطوا داخل القلعة الحصينة ، ساروا بمحاذاة السور الضخم حتى وصلوا للمخزن ، سمعوا أصواتاً قادمة من القصر ، التصقوا بالجدران ، حبسوا أنفاسهم ، شق صمت الليل حولهم خمس طلقات من بندقية ، كانت هي الإشارة المتفق عليها بين الثري وحراسه للكف عن البحث والتنقيب والعودة بما حصلوا عليه .

طلبا من الأستاذ أن يتراجعا ويعودا ، فطلب منهما التريث ، نظر فوجد نافذةً عاليةً بعضَ الشيء ، بمساعدة كل من أبي الحمد وإسماعيل استطاع تسلق الجدار الحجري ، تقوقع في النافذة ، أشعل مصباحه الكهربائي ، وأخذ يتصفح المكان في الداخل جيداً ، وجد أشياء كثيرة وآثاراً نادرة وغريبة من تماثيل وتوابيت وتمائم وأوراق بردي ملقاة في مختلف الجنبات للمخزن ، كانت أرضية المخزن من الداخل قريبة من النافذة ، هبط في الداخل ، أخذ يفحص الأشياء الملقاة بعناية بمساعدة مصباحه الكهربائي ، كاد ينسى نفسه ، سمع دقات فوق الحائط ، استشعر خطراً قادماً، استردَّ وعيه وأسرع يجمع بعض الآثار الصغيرة والبرديات الخفيفة الحمل ، عاد

أدراجه بسرعة وهبط في الفناء الخارجي ، كانت أصوات كلاب الحراسة تبدو وهي تقترب وكذلك صوت الحراس ، أسرعوا جميعاً بجوار السور وأخذوا يركضون بمحاذاة السور .

انزلقت قدم الأستاذ ، فأسرعا لنجدته ، وساعداه حتى نهض وعادوا من جديد ، أخذ كلٌّ منهم يتسلق الشجرة حتى الغصن ، وقفزوا إلى السور وزحفوا فوقه حتى وصلوا للنقطة التي تسللوا منها ، عادوا إلى الدرب نفسه ، غير المطروق من الحراس ، وصلوا لمشارف القرية ، ودَّعا الأستاذ ، وانطلق كل إلى منزله ، فكان طريق أيو الحمد وإسماعيل واحداً ، أما طريق الأستاذ ففي الجهة المغايرة .

عاد الأستاذ لمنزله ، أخذ يخلع عن جسده ملابسه المتسخة ، أحسَّ بالهدوء يغمر كيانه رغم لهاثه المتتابع ودقات قلبه المتتالية ، أغرق جسده بالمياه ، كان الفجر على الأبواب ، توضأ وأخذ يتمتم بآيات من القرآن الكريم ، وصل لمسامعه آذان الفجر ، أقام الصلاة ، ما كاد ينتهي من صلاته حتى همَّ بالنوم ، طرقات سريعة وقوية على الباب الخارجي ، تسارعت دقات قلبه ، توجَّس الشر ، أطفأ المصباح وسار على أطراف أصابعه ، حتى اقترب من الباب ، كاد يسمع دقات قلبه ، خاف بادئ الأمر ، استجمع شجاعته المعهودة ، طرقات خفيفة تبدو كأن صاحبها خائف .

سأل مَن الطارق ؟ كانت مفاجأة له أن يسمع صوت إسماعيل وأبي الحمد في تلك الساعة ، ما إن سمع الفتيان صوته حتى صاحا أن يسرع ويفتح الباب ، في ضوء مصباحه الكهربائي الصغير ، كان يبدو الخوف والهلع جلياً فوق وجهيهما ، دخلا بسرعة وأغلقا الباب خلفهما ، حاول أن يهدئ من روعهما .

ذهبت كلماته أدراج الرياح ، فكلماتهما تخرج مسرعة حتى لا يكاد يفقه منها شيئاً، بعد أن كررا حديثهما أكثر من مرة ، فهم أنَّ الحراس تأكدوا من وجود غرباء بالقصر ، وأنهم في تلك اللحظة يمشطون القرية والأماكن المحيطة بها حتى يعثروا على من استطاع الهجوم على قلعتهم الحصينة ، وإنهم إذا عرفوا الفاعل فإنه قد يلقى حتفه .

عقدت الدهشة لسان الجميع ، شلَّ تفكيرهم للحظات ، تملك الخوف الأستاذ ، حاول أن يبدو أمامهما رابطَ الجأش قوي العزيمة ، لكن داخله يهتز .

سألهما " وماذا نفعل ؟ " .

أجابه أبو الحمد " هيا أسرع وخذ ما خفَّ حمله من أدواتك ، واهرب من هنا بأقصى سرعة " .

سألهما " كيف ؟ وأنتما ؟ " .

" لا يهمك من أمرنا ، لتسافر أنت وتذهب إلى رجال الشرطة والآثار ومَن يهمهم الأمر ، وتخبرهم بما رأيت " .

حاول الأستاذ أن يتحدث ، طلبا منه الصمت والإسراع بإعداد حقيبته ، في عجلة استطاع أن يعدَّ حقيبته ، لم يضع سوى ملابس قليلة وأخذ القطع الأثرية والبرديات حتى امتلأت الحقيبة ، ارتدى ملابسه ، أسرعوا جميعاً بالخروج ، سلكوا طرقاً غريبة لم يألفها الأستاذ ، قبيل شروق الشمس ، استطاعوا أن يصلوا لمحطة القطار ، ولحسن حظهم كان القطار مستعداً للرحيل ، قفز الأستاذ بسرعة وودعهما على أمل اللقاء .

لم تمضِ سوى أيام قليلة ، هبطت إلى القرية قوة ضخمة من رجال الشرطة والآثار وبرفقتهم الأستاذ درويش ، بمجرد الوصول سأل الأستاذ درويش عن أبي الحمد وإسماعيل ، لم يجبه إنسان ، دخل قلبه الخوف عليهما، زحفت قوات الشرطة

والآثار مباشرة إلى منزل الرجل الثري ، كانت دهشة الجميع تفوق الوصف ، وجدوا المخزن زاخراً بالآثار الثمينة والتحف النادرة والمخطوطات الرائعة ، والبرديات مبعثرة في شتى الأرجاء .

تأكدوا مما قصَّه عليهم الأستاذ درويش ، هنَّأه الجميع ، ولكن الأستاذ كان شارداً بفكره عن الجميع ، وسابحاً فيما حدث لكلٍّ من أبي الحمد وإسماعيل ، حاول الرجل الثري وأتباعه الهروب ، لكن استطاعت قوة الشرطة أن تقبض عليهم جميعاً ، لم يسترحْ بالُ الأستاذ درويش حتى عثروا في أحد حجرات المخزن الداخلية على كل من أبي الحمد وإسماعيل ، وقد كمَّم فاه كل منهما وكبلت أقدامهما وأيديهما ، فرح الأستاذ فرحاً كبيراً، احتضن كلاً منهما وأخذ يقص على الجميع بطولتهما وشجاعتهما النادرة .

شدَّ الجميع على يد كلٍّ من أبي الحمد وإسماعيل ، وأخذت المجلات والجرائد تتابع الأخبار يوماً بيوم وزينت صور كل من أبي الحمد وإسماعيل التي كتبتها الصحف المختلفة ، أما الأستاذ فقد أحجم عن الحديث والصور ، واكتفى بما فعله ، أسرعت البعثات الأثرية تأتي كل يوم وتتابع الحفر والتنقيب على آثار الأجداد والأسلاف ، وهبطت جموع كثيرة من السائحين ، وعيونهم لا تصدق ما يرونه من آثار باهرة ونادرة، عمَّ الخير أرجاء القرية .

واليوم أصبح بالقرية فندق كبير ، وعمل أغلب أبناء القرية ، وأجاد كثيرٌ منهم اللغات الأجنبية ، امتدت شبكة الكهرباء ، وتناثرت في أرجاء القرية المنازل الحديثة المضاءة بالكهرباء ، وعاش الأستاذ درويش فترةً طويلةً بين ربوع القرية وبين أهلها الذين أحبوه ، فأقام بمساعدة الأهالي مركزاً للشباب ، وساعد في كثير من المشروعات التي تساهم في مساعدة الأهالي .

واليوم بعد مرور السنوات يعمل كل من أبي الحمد وإسماعيل في هيئة الآثار ويقومان بترميم الآثار القديمة واستخراج الكنوز والآثار .

وأقيم متحف في القرية فيه جميع الآثار ، ويحفظ متعلقات الجدود ويعرض إنجازاتهم ، ومازال كلٌّ من أبي الحمد وإسماعيل في موقعيهما يحافظان على آثار الأجداد ويحاربان كلَّ إنسان يحاول أن يسرق أي قطعة من الآثار .

***

الغزالة الذهبية

(١)

كان مصباح الدين شاباً في مقتبل العمر ، يحترمه الجميع ، وكان يعمل بجد ونشاط ، ويكسب الكثير أو القليل ، فيحمد الله ويشكر فضله ، ويجود بما يملك على أخواته البنات الثلاث حبور وبدور ونور .

أحب مصباح الدين أخواته الكبريات ، فكان يجلس إليهن وقت فراغه يداعبهن ، وكان مطيعاً لوالديه رحمهما الله .

جلس مصباح الدين على شاطئ البحر ، وأخذ يفكر ... تذكَّر أباه ووصيته له ... غداً تبلغ أخته حبور عامها الثامن عشر ، ماذا يفعل ؟

عاهد أباه على البر بوعده ، لن يستطيع الرجوع عن وعده الذي قطعه على نفسه أمام أبيه ، لم يدرِ بنفسه ، تقدَّم الشيخ حسان من خلفه ، لم يشعر مصباح الدين بحركته، هزه الرجل ... فصحا من غفوته ، ونظر خلفه وابتسم قائلاً : " أهلاً يا عم حسان " ، فصمت الرجل قليلاً ، ثم قال له : " مصباح الدين يا ولدي إنني أراكَ مهموماً مغموماً ، فماذا بك يا بني ؟ " .

قال مصباح الدين " ماذا أفعل يا عم حسان ، لقد قطعت وعداً مع أبي رحمه الله وأخاف " ، لم ينتظر الشيخ حسان حتى ينتهي مصباح الدين من حديثه ، وهتف

الرجل قائلاً : " يا بني الوعد دين ، وعليك أن تطيع رغبة أبيك ... أترُكُكَ يَا وَلَدِي في رعاية الله " .

مضى الشيخ حسان ، عاد مصباح الدين إلى البيت ، حمل بين يديه الطعام والشراب ، وفي المساء جلس مصباح الدين خارج البيت .

دعا أخته حبور ، فأقبلت عليه قائلة : " نعم يا أخي " ، قال لها : " ياأختي حبور ... غداً في الصباح الباكر قبل شروق الشمس نوفِ بوعد أبيك ... فما رأيك ؟ رفعت رأسها قائله : " سأقبل مهما كانت " ، أشاع رد حبور الرضا في نفس مصباح الدين ... لم يَنَمْ ليلتها ، وظل ساهراً حتى أشرق الفجر .

***

(٢)

اصطحب مصباح الدين أخته حبور ، ولم تشرق الشمس ، فاستمر يمشي وهي خلفه حتى وصل إلى شجرة الزيتون العجوز ، قطع غصناً أخضر بأوراقه ، واستمر يمشي في طريقه ، لا ينظر خلفه ، مضى في الطريق الذي حدده له أباه ... وصل إلى صخرة ضخمة تتكسر أمواج البحر عليها ... جلست حبور أسفل الصخرة ، وأخذ مصباح الدين يتسلق الصخرة ... صعد أعلاها ، فاعتلى قمتها ، واقتربت الشمس من الشروق ... تصبب مصباح الدين عرقاً ... أحس بالخوف ... ظهر جزء صغير جداً من الشمس ، فبسمل ، وألقى بغصن الزيتون في الماء ، تفجر سطح البحر ، وتصاعدت المياه لأعلى ، وأصبحت صفحة الماء مثل البركان ... خرج مارد ضخم ... ضحك عالياً ، واهتزت الأرجاء وامتدت يده الضخمة ، وأخذ حبور بين يديه ، وسقط مصباح الدين مغشياً عليه ، ونظر حوله ، و" تذكَّر ما رأى ، وأخذ يبكي ، ثم عاد إلى البيت ، ولم يقص على أخته ما حدث ... اكتفى بالقول أنه أوفى بعهده لأبيه .

***

(٣)

مضى عام آخر ... أصبح عمر بدور ثمانية عشر عاماً ، إنه الوعد الثاني ... خاف مصباح الدين ، وعزم ألا يفعل ذلك ثانية ، فجلس وحيداً في المساء ، وأخذ ينظر للقمر ... تحدَّث للقمر ، ماذا يفعل ؟ لقد ألقى بأخته الأولى لمارد البحر ، لكن كيف يهرب من وعد أبيه ... هل تسامحه روح أبيه ؟

نادى على أخته بدور ، فأسرعت إليه ... نَظَرَ إليها بحب وإشفاق ، وحبس دموعه وهو ينظر إليها ... أجلسها بجواره ، قصَّ عليها وعدَهُ لأبيهَا ، أجابته بدور : " أنا رهن إشارتكَ يا أخي ، وسأفعل ما أمرك أبي به " ، باركها ودعا لها، لم ينمْ ليلتها ، اصطحبها ومضى بها في طريق آخر ، فصعد الجبل ، وأمام مغارة ضخمة ... أشعل النيران وألقى البخور الذي احتفظ به ، وتصاعد دخان كثيف رائحته نفاذة ، واهتز الجبل بعنف .

رجع مصباح الدين للخلف ، وظلت بدور في مكانها ... تجمع الدخان ، وتكونت حلقة ضخمة سوداء كالغمامة ... تحوَّلت لصورة شبح ضخم ، وامتدت يده الضخمة القوية لأخذ بدور ، تراجع مصباح الدين للخلف وهو ينظر للعملاق الضخم ، فانزلقت قدمه ، وقع على ظهره ، لم يحس بنفسه إلا والشمس تتوسط السماء، عاد إلى البيت حزيناً ، لم يتبقَّ في البيت سوى أخته الوحيدة نور ... أخذ يسأل نفسه " هل يوفِ بوصية أبيه الأخيرة ... هل يلقى نور أيضاً ؟ إنها أحبهن إلى قلبه .

***

(٤)

مضى عام ... غداً يسلم أمانته الثالثة ، نور حبيبته وأصغر إخوته ، هل يتركها ؟ سأل نفسه مرات عديدة ، إنها وصية أبيه ، كان طول عمره مطيعاً لوالديه ... لم يعصِ لهما أمراً ، كان المساء ، فخرج إلى شاطئ البحر ، وأخذ يلقي أسئلته إلى البحر مرة ، وإلى النجوم مرة ، وإلى السماء ... لم يجبه أيٌّ منها ، في طريق عودته سمع صوتاً عذباً جميلاً يقول : " يا مصباح الدين ... إن روح أمك وأبيك تدعوان لك الليل والنهار ... " ، أخذ الصوت يتردد مرات ومرات ، ويخفت رويداً رويداً ... حتى ذهب ...

لم يجد مصباح الدين مفراً أمامه ... ها هو صوت قادم إليه ، يبشره بالرضا من والديه ... حمد الله ... وسأل أخته نور ، لم تتردد في الإجابة عليه ، فأجابت بالموافقة على وصية أبيها ، وفي الصباح ، لم تبزغ الشمس بعد ... مضى في الطريق الجديد ، ومضت نور من خلفه ... كان في قلبه حسرة على فراق أخته ، لكنه يشعر بالرضا ...

تسلَّق شجرة النخيل العملاقة ... قطع غصناً من أغصانها الطويلة ، وهبط ونزع الشوك منها ... وأخذ يهبط أسفل الجبل في منحدر طويل ، فوصل أخيراً لوادٍ فسيح الأرجاء ، تفحَّص بعينيه المكان جيداً ... عرف المكان المطلوب ... تقدَّم صوب الطريق ... فوجد أمامه عين ماء غائرة ، فأوقف أخته نور على حافة البئر ، وألقى

بغصن النخيل كأنه سهم ، وغار الغصن في الماء ، وفار الماء ، وتصاعد – امتلأت العين عن آخرها ، خرج الماء منها هادراً ، جرفه الماء للخلف، ألقى به بعيداً ، وظلت نور في مكانها ثابتة .

خرج من وسط الماء عملاق ضخم ... ضحك قائلاً بصوت اهتزت له الأشجار في الوادي الفسيح ، وفرَّت الطيور من أوكارها " لقد أديت أمانتك يا مصباح الدين ... نِعْمَ الابن أنت ... رحم الله أبويك ... وبارك الله فيك ، " امتدت يده الضخمة ... أخذت نور ... وحاول مصباح الدين أن يتحدث إليه ، عقد الخوف لسانه ، ولم يستطع إخراج كلمة واحدة ... تفجَّر الماء من جديد ... قذف الماء مصباح الدين للخلف بقوة ، تحرك مصباح الدين ، لم يدرِ كم من الوقت مضى ... وجد ثيابه المبتلة قد يبست ، استعاذ بالله من الشيطان الرجيم ، وعاد إلى داره مهموماً، وهكذا ودَّعَ آخر أخواته ، وبقي وحيداً في الدنيا .

***

(٥)

أصبح مصباح الدين وحيداً ، فأحسَّ بالوحشة في حياته ، ماذا يفعل؟ إلى أين يمضي ؟ أصبح البيت خاوياً ، يتذكر أخواته دائماً ، يبكي ... ويتذكر صور الوحوش الثلاثة ... فيسأل نفسه : " هل أكلتهن تلك الوحوش الضخمة ؟ ... تمضي الأيام والشهور ، وتمضي السنة تلو الأخرى ، لكنه لا ينسى أخواته .

وفي يوم من أيام الصيف الحارقة ، قبل الغروب وهو جالس في البيت وحيداً ، أحسَّ بالضيق ، فخرج قاصداً شاطئ البحر ، وجلس على الشاطئ ... وأخذ يشكو للبحر أحزانه ، لم يدرِ بنفسه ، أخرجه من تفكيره وبكائه وقْعُ حوافر جواد ... نظر خلفه ، فوجد جواداً أصيلاً يكاد يطير عن الأرض ... اقترب الجواد ، وتوقف ... وكان يعتلي ظهر الجواد فتاة جميلة ، وقفت بجوادها بجواره، فرأت على وجهه آثار حزن بادية ، وبينما كان جالساً سألته عن اسمه فأجابها ، وأخذ ينظر إليها ... كانت تفوق البدر جمالاً ... أعجب بها وبجمالها الفتان .

سألته " لماذا تجلس وحيداً ؟ " ، أجابها بهدوء قائلاً : أشكو للبحر همومي، فسألته من جديد : لماذا أنت محزون ومهموم ؟ ... أجابها : " إنها حكاية طويلة يا سيدتي ، هبطت من فوق ظهر جوادها ، جلست بجواره ، وتوسلت إليه أن يقصَّ عليها روايته ... حاول ... ألحت عليه ثانية ... فاستجاب لها .

أخذ مصباح الدين يقص عليها حكايته ، منذ الوعد الذي قطعه مع أبيه ، كيف ألقى بكل أخواته إلى وحوش ضخمة ، استعجبت الفتاة لحكايته الغريبة ، رثت لحاله ... شاركته أحزانه واقتربت منه ، وحاولت أن تخفف عنه ... وأعجبت الفتاة به كثيراً ، وأعجبت بإخلاصه لأبويه أكثر ، طلبت منه أن يطلب ما يريد ... شكرها في كلمات رقيقة ، مسح دموعه من جديد ، وجدها هي أيضاً تبكي ، شكرها ، همَّت بالمضي ، سألها عن اسمها ، أجابته " أنا الأميرة بدر المساء " ... ارتجف لسماعه الاسم ، قال في عبارة متقطعة " الأميرة ... بدر .... المساء ... ابنة الملك المعظم ، مَن يراها في وَضَحِ النهار ، أو يقترب منها في حلول المساء ، تُقْطَعُ رقبتُهُ ، ويُلقَى جسدُه في كل الأرجاء " .

خاف مصباح الدين ، وهَبَّ واقفاً ، ماذا يفعل ؟ لا مفرَّ أمامه حاول أن يولِّي الأدبار ، ما كاد يطلق ساقيه للريح ، أمسك به الحراس ، وقادوه لقصر الملك المعظم .

***

(٦)

ألقوا به في السجن ، الظلام حالك من حوله ، لا يرى أي شيء ، جلس على الأرض ، وأخذ يبكي ويندب حظه العاثر بصوت مسموع قائلاً : " يا ربّ .... يا كريم ... يا رافع الضر والأذى عن المظلوم ... لم أفعل يوماً ما يغضبك ... رحمتك يا أكرم مَن سُئِل .. وخير مَن استجاب " ، وما كاد مصباح الدين ينتهي من دعائه ، حتى سمع صوت إنسان يسعل بصوت خافت مكتوم ...

تساءل مصباح الدين في خوف " مَن هنا ؟ " أجابه صوت رجل عجوز : " أنا العبد الفقير إلى الله ، لا تخف يا بني ، إن اللهَ يرعاك ويسدد خطاك ، اسمع ما أقوله لك مَن يرى بدر المساء ابنة الملك المعظم ... إما يُقتل بالسيف بأمر الملك أو يذهب وراء الغزالة الذهبية ، إن اصطاد الغزالة الذهبية ، فإنه يتزوج ابنة الملك المعظم ، ويتوج بتاج ولاية العرش " ، قاطعه مصباح الدين باكياً قائلاً : " يا سيدي في كل الأحوال هو ميت لا محالة ... الغزالة الذهبية لا يأسرها إنسان ... ومَن يذهب خلفها تقتله الأفاعي وتنهش جسده الضواري قبل أن يصل إلى وادي الخوف ... فكيف يا سيدي ؟ " .

عاد العجوز يشجعه ويقوي عزيمته قائلاً : " لا تخف يا بني ؛ فأنت لا تفعل ما يغضب ربك واللهُ لكَ معين " ... صمت الرجل ، ولم يطل الصمت كثيراً ، أشعل العجوز مصباح زيت صغير بجواره ، رآه مصباح الدين ، شعره كثيف طويل ، لحيته طويلة ، لا يظهر من وجهه سوى عينيه، أخرج العجوز خنجراً

صغيراً، قطع خصلة من شعره ، وامتدت يد العجوز بخصلة الشعر إلى مصباح الدين ، فتناولها من يده قبل أن يتحدث مصباح الدين أو يسأل ... قال العجوز : " ستذهب يا بنيَّ في طريقك ، كن شجاعاً ولا تخف ... قل للملك المعظم أنك ذاهب وراء الغزال الذهبي ، لا تخف من وادي الخوف ، بمجرد أن تصل إلى وادي الخوف ... هناك ستجد العجوز الشمطاء العمياء ذات العيون البلورية " .

قاطعه مصباح الدين قائلاً : " إنها تأكل أيَّ إنسان يطأ أرضها بقدميه " .

صاح العجوز " كن شجاعاً ، لا تقاطعني ، استمع جيداً لما أقوله بمجرد أن تصل وادي الخوف ، امضِ بخطى ثابتة نحو الكهف المظلم ... لا تخف ولا تنسَ كلماتي ... ألقِ إليها بالسلام ، أعطها خصلة الشعر ... اطلب منها عيناً من عيونها البلورية ، في العين البلورية تستطيع أن ترى أين تكون الغزالة الذهبية " ... أنهى العجوز حديثه ، انطفأ المصباح الزيتي ... لم يسمع بعدها مصباح الدين كلمة واحدة أو همسة ... فجلس ملتصقاً بالحائط ، يتملكه الخوف ، في الصباح فتح باب السجن على مصراعيه ، تسرَّب الضوء ، أضاء نور الحجرة ونظر مصباح الدين حوله في الحجرة ، لم يجد أثراً للشيخ العجوز ، استعاذ بالله من الشيطان الرجيم ، واقتادوه لحجرة الملك ، سؤال واحد محدد ... إما أن يأتي بالغزالة الذهبية ، وإما أن يكون نصيبه ونصيب أهله القتل والتشريد ... وقف مصباح الدين أمام الملك العظيم مرفوع الرأس ، وأعلن على الملأ موافقته بالإتيان بالغزالة الذهبية ... فضحكوا عليه جميعاً ، وبكت بدر المساء وهي تراه ، تعرف أنه سيلاقي حتفه ... أخيراً أطلقوا سراحه ليمضي وراء الغزالة الذهبية .

(٧)

مضى في طريقه إلى وادي الخوف ، وأمسك بخصلة الشعر التي وهبها له عجوز السجن بقوة ... فتوقف بالقرب من الكهف المظلم ، خرجت صارخة بوجهها المخيف ، همَّت أن تنقض عليه ، ألقى عليها بالسلام ، ردَّت سلامه ، رغم خوفه شجَّع نفسه ، اقترب منها ... أعطاها خصلة الشعر ، قربتها من أنفها ، شمتها أكثر من مرة ، أخذت ترقص ... قفزت في الهواء قفزات متتالية ، وركعت أمام قدميه ، وطالبته أن يطلب ما يشاء ، طلب منها عيناً بلورية ... فسألته عن السبب ... أجابها عن حاجته لاصطياد الغزالة الذهبية ، فوَهبتْهُ العين البلورية ، كاد يمضي فاستوقفته ، نظر إليها ... قالت له في صوت عجوز متقطع : " لا تتعب نفسك مَن يصطاد الغزالة يحتاج إلى ثلاثة سهام من أبناء ملوك البحر والأرض والهواء " ، تركته ، وأسرعت تدخل الكهف المظلم ... وقف مصباح الدين مهموماً بعض الشيء ، مضى في طريقة ، نظر مصباح الدين في العين البلورية ، رأى الغزالة الذهبية بجوار قصر ضخم تحيطه المياه من كل جانب ، وعندما قلب العين للجهة الثانية ... رأى صورة عجوز ... فضحك العجوز ، وقال : " هذا قصر ملك البحار " ، ثم اختفى العجوز .

تزوَّد مصباح الدين بالطعام والشراب لرحلته الطويلة ، مشى في الطرق الوعرة ثلاثة أيام متتالية ، فوصل أخيراً ، ونظر للقصر الذي أمامه ... إنه نفس القصر الذي رآه في العين ... أخذ منه التعب وأحس بحاجته للنوم .

كان طريقه محفوفاً بالمخاطر ، الطرق بين الجبال والسهول ، ضواري بالليل ووحوش بالنهار ، استطاع التغلب على كل المخاطر ... لم يشعر بنفسه ، وجد شجرة

ضخمة ، فجلس على الأرض واستند بظهره على جذعها ، أفاق من نومه على صوت حراس رافعين سيوفهم في أيديهم ، قبضوا عليه ، وأودعوه في السجن ... أخبروه أن أي غريب يطأ هذه الأرض بقدمه يشنق بأمر ملك البحار ، استسلم لهم ولأوامرهم ، أشرقت شمس يوم جديد ، اقتادوه لساحة الإعدام الضخمة التي امتلأت عن آخرها ... نصبت المشنقة أمامها مباشرة ، وجلس ملك البحار وبجواره الملكة .

وأخذ مصباح الدين يصعد السلالم المؤدية للمشنقة فنظر إلى الملك ، وطلب الرحمة ، وأغلق عينيه ، وتحركت شفتاه بالشهادة ، ثم سمع صوتاً يصرخ قائلاً : " أوقفوا الشنق إنه أخي مصباح الدين " ، وفتح عينيه ، فلم يصدق نفسه ...

الملكة هي أخته حبور !!! جرى بعد أن قفز من فوق منصة الإعدام ... صرخ بصوت عالٍ " .... أختي حبور ... أختي حبور ... " ، أسرعت هي أيضاً نحوه ، وألقت بنفسها بين ذراعيه ، حمد اللهَ على سلامتها ، وفرح كثيراً ، أخبرته أن ملك البحر هو زوجها ، فأقبل عليه ، وأخذ يقبله ... فرحا به كثيراً ، وقدموا إليه طيب الطعام .

قص عليهم قصة الغزالة الذهبية ، فأخبره ملك البحار أن الغزالة الذهبية لا تقتلها سوى ثلاثة سهام من ممالك ثلاثة مختلفة ... سهم من مملكة البحار ، وسهم من مملكة الأرض والجبال ، وسهم من مملكة الريح والهواء ، شدَّ على يديه ودعا له بالتوفيق في مسعاه ، ووهبه السهم السحري الخاص بمملكة البحار .

أخرج مصباح الدين العين ، ونظر فيها ، رأى الغزالة الذهبية أمام قصر مهيب له سور ضخم ، يظهر القصر ويختفي ، نظر أكثر من مرة فلم يفهم شيئاً ، ثم نظر في الجهة الثانية فرأى صورة عجوز ، أخبره على الفور أنه القصر العجيب ، قصر ملك الأرض والجبال فحاول أن يسأل العجوز، ولكن صورة العجوز كانت قد اختفت .

قضى مصباح الدين يومين كاملين ، وفي اليوم الثالث عزم على الرحيل فحالوا منعه ، صمَّم على المضي في طريقه ، وتمنَّى أن يفوز بقلب بدر المساء ، ودَّع أخته الملكة حبور ، وودَّع زوجها ، وحذره ملك البحار من الطريق ... فتمنوا له السلامة والتوفيق، امتطى صهوة جواد ... ووضع متاعاً لرحلته فوق جواد آخر ، ومضى في طريقه .

أمضى مصباح الدين خمسة أيام في الطريق ، لم ينمْ سوى ساعات محدودة ... نال التعب منه ومن فرسيه أيضاً ، كانت فرحته كبيرة بلقاء أخته حبور وزوجها ملك البحار وولديها الصغار أمراء المملكة ... تذكر الأميرة بدر المساء ، ودعا الله أن تكون من نصيبه ، أحبها من كل قلبه ونسى تعبه في ذكراها ... مضى في طريقه بكل قوة ونشاط ، وفجأة ... وجد أمامه وادياً ممتد الأرجاء ، لكن لم يستطع فرسه أن يتقدم ، فحاول أن يجعل الفرس يتقدم ، لكنه لم يستطع ، فهبط من فوق ظهره ، ودفعه بقوة ، فتوقف الفرس ، وحاول مع الفرس الثاني ، لكنه لم يستطع أيضاً ... فاستعجب للأمر ... !!!

تقدَّم مصباح الدين ، كأن حائطاً أمامه ، كأن يداً تدفعه للخلف ، كرَّر محاولته ، فوجد نفسه مدفوعاً بقوة للخلف ... سقط على ظهره ، وتعجب للأمر ... الأرض أمامه فسيحة أخرج خنجرَهُ صوبه ، وتقدم ببطء عند تلك النقطة ، فشعر وكأن الخنجر يصطدم بحجر صلد ... تعجب للأمر ، أصاغ السمع ، فسمع ضحكات كثيرة ، ونظر حوله فلم يجد شيئاً .

وهرب الفرسان ... فحاول تعقبهما ، لكنه لم يفلح ... فتركهما ، وعاد من جديد، ثم حاول مرة أخرى سماع الضحكات ... فأحس بالخوف ...

سمع صوتاً يناديه باسمه ، فتعجب للأمر ... نظر حوله فلم يجد شيئاً ، وضح الصوت أكثر ... الصوت ليس غريباً عليه ... أصاغ السمع، فسمع هاتفاً يقول : " اهبطوا ... ارفعوا الحواجز أمام الضيف الكريم " ، فتحت البوابة على مصراعيها ، وجد أمامه أخته بدور ، لم يصدق نفسه ولم يتحرك من مكانه ... لم يصدق عينيه ، أفاق من غفوته .. فأسرع وجرى نحوها ، لم يصدق عينيه أول مرة ، أخذها بين ذراعيه ، نظر إليها ... كان فوق رأسها تاج مرصع بالذهب والماس والأحجار الكريمة ...

أشارت إلى القادم خلفها قائلة : " هذا زوجي ملك الأرض وسيد الجبال" ... فاستقبله الملك استقبالاً حافلاً .

أقاموا الأفراح ، ونصبت الموائد ، وسهروا حتى الصباح ... عرف مقدرتهم في حجب رؤية القصر عن بصر أي غريب ، وحكى لها قصته ، وكيف شاهد أخته الملكة حبور – وزوجها ملك البحور وولديها ، وعن هدية ملك البحور له، والسهم الذهبي الذي وهبه إياه ... أخبره ملك الأرض والجبال أن الغزال الذهبي ذهب إلى مملكة الهواء والسحاب .

جلس مصباح الدين يومين كاملين ، كانت سعادته أكثر لرؤية أبناء أخته بدور ، عزم على الرحيل ، أهداه ملك الأرض والجبال السهم الذهبي الخاص بمملكة الأرض والجبال ... فدعا له بالتوفيق في مسعاه ، ووهبه أيضاً عربته الخاصة التي تطير به فوق الجبال ، وتهبط به إلى الأرض ... ذات الخيل المجنحة .

ودَّعهم جميعاً ، وقاد العربة ، فأسرعت به ، ولم يشعر بوعورة الطريق ، ثم أخرج مصباح الدين العين البلورية ، ونظر فيها ، فوجد الغزالة الذهبية ترعى أمام قصر عجيب ، قصر لا يرتكز على الأرض مثل السحاب ، أخبره عجوز السجن أنه قصر ملك الهواء والسحاب .

(٨)

لم تطل رحلته كثيراً ، كانت العربة العجيبة التي تجرها الخيل المجنحة خير معين له ... وصل إلى قمة جبلٍ عالية فتوقفت العربة ، ثم نزل منها ونظر أسفل الجبل ، واستعان بالعين فرأى الغزال الذهبي ، عرف مكانه ، وهبط مسرعاً وأخرج السهمين وأخذت الغزالة تعدو ، واختبأ مصباح الدين بين الصخور ، ومشى على أطراف أصابعه ، واقترب منها ، وأطلق سهمه الأول ، فأصابها ، لكنها أسرعت تعدو وكأن لم يصبها شيء .

اخترق حواجز الصخور من الجهة الثانية ، واستعان بالعين البلورية وعرف مكانها ... وأسرع إليه بخفة وثقة ... وتحفز وأطلق سهمه الثاني ، فأصابها ... فتحملت أيضاً ... جرت فطاش السهم الثالث ، فلعن تسرعه وجلس على الأرض نادماً ، ماذا يفعل الآن ؟ وجد سحابة ضخمة تهبط على الأرض ، وسمع أصوات الرياح فلم يتخوف ...

نظر في العين البلورية ، فلم يصدق عينيه ... رأى أخته نور ، وفوق رأسها تاج ذهبي ، كانت تجري وراء الغزالة الذهبية ، وأصابت نور الغزالة الذهبية ، فسقطت على الأرض .

خرج من خلف الصخرة ، وجرى إلى أخته نور ... وأخذها بين ذراعيه ، والغزالة الذهبية تحت قدميه ، وقبل أن يسألها ... قصَّت هي عليه أن الرياح أخبرتها

بقصته مع الغزالة الذهبية ، فجهزت سهم زوجها الذهبي ... سهم مملكة الريح والسحاب .

وعندما رأت الغزالة الذهبية ، أسرعت وأطلقت سهمها ؛ لأنها إن انتظرت ساعة واحدة ينتهي مفعول السهام جميعاً ، فأخذها مرة ثانية بين ذراعيه وتقدم إليه زوجها ... وعانقه بحرارة ولم يقص على أخته شيئاً ... كانت تعرف كل شيء ...

حمل الحراس الغزالة الذهبية ، وصحبته أخته وزوجها ، ثم مرّوا في موكب كبير بمملكة الأرض والجبال ، وصحبوا بدور وزوجها ، وفي طريقهم وجدوا ملك مملكة البحار والملكة حبور في انتظارهم ... ومضوا في موكب ضخم ، وحملوا الغزالة الذهبية ، وحملوا الهدايا الثمينة من كل الممالك ، وهبطوا لوطن مصباح الدين .

أُطلقتْ الزغاريد ، وزُينت الشوارع ، وعمَّت البهجة النفوس ، وأقيمت الأفراح سبع ليالٍ كاملة ، وتزوج الأمير مصباح الدين الأميرة بدر المساء .

وأقسما أن يبرا دائماً بالوعد ويحفظا العهد .

فكانت لهما السعادة والحب من كل البشر .

(تمـــــت)

***

بطل من سيناء

سيناء جزء حبيب من أرض مصر ، كرَّم اللهُ أرضها فكانت مهداً لرسالة سيدنا موسى عليه السلام ، وكانت طريق أسرة السيد المسيح لمصر ، فتحت أبوابها لرسالة خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ ، تزخر أرضها بالكنوز من فحم وبترول والكثير من المعادن ، وتخرج أرضها الزيتون واللوز والخوخ والتين ، شواطئها من أجمل شواطئ الدنيا قاطبة .

تعرضت كثيراً لغزوات الطامعين ، كانت دائماً مقبرة للغزاة ، وفي عام ألف وتسعمائة وسبع وستين هاجمها اليهود ، استطاعوا أن يسيطروا عليها ، ظنوا أنهم يستطيعون البقاء بها ، طردوا القبائل المصرية التي تسكنها ، لم تترك القبائل المصرية أرض سيناء ، تنقلوا .

هاجم جنود الاحتلال البدو بكل قسوة ، فجمع جنود الاحتلال الشباب والرجال وساقوهم للسجن ، وكان جنود الاحتلال كثيرين ، حاصروا الوادي كله ، لم يتركوا سوى الشيوخ والنساء والأطفال ، وأمروهم أن يهجروا الوادي فلم يستجيبوا لهم ، هددوهم بقتل الشباب والرجال ، حوَّمت الطائرات وانطلق الرصاص وحاصرتهم السيارات المدرعة والدبابات ، تركوا الوادي وهم مكرهون ، وهرب الكثير من الرجال والشباب في شعاب الجبال .

مضى ساري وأخته رضوى محزونين ، أخذ كلٌّ منهما ينظر للوادي وكأنه يودعه ، كان ساري في التاسعة من عمرة ، وأخته رضوى تصغره بعام واحد .

سارت القافلة في صف طويل ، وضعوا زادهم وخيامهم فوق ظهور الجمال .

بكى ساري ورضوى ، كان الوادي مهد حياتهما ، لعبا مع زملائهما بين بيوت الشعر المتناثرة ، حتى وصلوا إلى الجبال القريبة ، كان الوادي زاخراً بأشجار الزيتون الكثيفة وأشجار النخيل ، وكانت تنتشر فيه أشجار اللوز والخوخ .

ودَّعوا الوادي ، مضوا في طريقهم ، ساقوا الأغنام والماعز أمامهم ، وكانت الجمال خير معين لهم ، بينما كان الجميع صامتون ، سألت رضوى سارياً : " لماذا يطردوننا ؟ " .

أجابها ساري بحزن : " يريدون أن يأخذوا أرضنا " .

سألته : " لكنها أرضنا وأرض جدودنا " .

أجابها : " سنعود إليها بإذن الله " .

سألته ثانية : " متى ؟ " .

توقفا عن الحديث ، سيارات كثيرة قادمة ، أخذوا يدفعون بالغنم والماعز بعيداً عن الطريق ، صارت السيارات قريبة منهم ، تحركت السيارات ببطء ، ارتفعت يد رضوى بالتحية ، همس ساري لها قائلاً : " إنهم أعداؤنا " .

لم ترفع يدها ثانية ، توقفت السيارات ، كانت السيارات ممتلئة بالجنود المدججين بالسلاح ، تسمَّر ساري في مكانه ، ووقفت رضوى بجواره .

حاولت إحدى المجندات أن تداعب سارياً أو رضوى . لم يستجيبا لها ، أخرجت لهما قطعتين من البسكويت . لكنهما رفضا أخذها أيضاً ، يعرف كلٌّ منهما أنهم السبب في رحيلهم من واديهما الجميل ، نظر ساري لمسدسها، تمنَّى أن يسحبه من وسطها ويضربهم جميعاً ، لكنه لا يعرف كيف يستخدمه .

صعد الجنود لسياراتهم ومضوا ، عادوا يسوقون الأغنام والماعز ، ارتفعت الشمس وازدادت حرارة الجو ، سألوا الشيخ سالم دليلهم ، فأجابهم الرجل قائلاً :

هذه المنطقة محرمة علينا ، غير مأمونة من الضواري ، ولا يوجد بئر ماء قريب، ومعنا مسيرة ثلاث ساعات لكي نصل لوادي السد القديم ، فهناك بئر قديم ربما لم يدرك الأعداء مكانه " .

واصلوا السير ، رفعوا الصغار والعجائز فوق ظهور الجمال ، رفض ساري ورضوى أن يحملوهما فوق الجمال .

وجدوا في طريقهم بقايا لمبنى خشبي وبقايا بناء مشيد من الأسمنت وأثار خنادق ودماء تلوث الجدران ، وحطام لسيارات وأثار طلقات الرصاص والقنابل فوق الجدران ، أحذية جنود متناثرة وبقايا لأطعمة جافة تجمَّعت حولها الكلاب الضالة ، وحامت الغربان فوقها .

أسرعت أمهما تبعدهما عن الطريق ، نظر كلٌّ منهما للأم فوجدا في عينيها دموعاً ، لم يصمتا وسألاها ، شرحت لهما الأم أنَّ هذا المكان كان معسكراً لجنودنا دمره الأعداء .

مضى سرب من الطائرات فوق رءوسهم ، نظر ساري فوجد فوق جسم الطائرة النجمة السداسية فعرف أنها لجنود الاحتلال ، اقتربت طائرة مروحية فوقها أيضاً النجمة نفسها ، أخذت تدور فوق رءوسهم ثم بدأت في الهبوط .

اهتزت الجمال بالأطفال والشيوخ ، أثارت الطائرة الرمال حولها ، وهبط جنود الاحتلال من الطائرة بأسلحتهم ، فتوقفت القافلة ، أمروهم بأن يخرجوا كل ما تحمله الجمال . فأكَّد الشيخ سالم للجنود أنه لا يوجد شيء ، لم يصدقوا كلام الرجل

العجوز ، واعتدى أحد الجنود عليه ، أخذوا يعبثون بكل ما تحمله الجمال ويبعثرونه ولم يجدوا شيئاً ، مضوا بعد أن هددوا الشيخ بالسجن .

اقترب ساري من الشيخ سالم وسأله : " عَمَّ ماذا يبحثون ؟ " .

أجابه الرجل : " إنهم يبحثون عن الجنود المصريين والفدائيين " .

سأله ساري : " ومَنْ هم الفدائيون ؟ " .

أجاب الشيخ : " الأبطال الذين يدافعون عن الوطن ويدفعون أرواحهم ثمناً لذلك " .

سأل ساري من جديد : " وأين ذهب أبي ؟ " .

لم يجبه الشيخ ، وطلب منه أن يسير قريباً من القافلة ، وصلت القافلة لوادي السد القديم ، أنزلوا رحالهم من فوق ظهور الجمال ، تعاون الرجال والنساء والأطفال في صنع سور من الحبال ، وضعوا داخله حيواناتهم ، وقام الشيخ ومجموعة قليلة من كبار السن بتنظيف البئر القديم ، وهبط أحد الرجال باستخدام حبل طويل داخل البئر بمساعدة الرجال ، بشَّرهُم بوجود الماء في البئر، ففرح الجميع .

كان جنود الاحتلال يدمرون كل الآبار في طريقهم ، لم يتبقَّ سوى هذا البئر ، أسرع الجميع يخرجون الماء ، شربوا وسقوا دوابهم وإبلهم .

حلَّ المساء ، وتعب الجميع كثيراً طوال اليوم ، فأقاموا خيامهم وناموا ، لم يغمض جفن ساري ، فقد كان ينظر للنجوم ، كان حزيناً لفراق الوادي الجميل ، الطائرات تحوم في المساء .

ووجد مظلاتٍ معلق بها فوانيس ضخمة تضيء مساحات شاسعة من الصحراء، تسلل الفتى حتى وجد الشيخ سالم جالساً بمفرده ، سأله ساري عن سبب سقوط هذه الفوانيس المضيئة طوال الليل .

أجابه الشيخ سالم : " إنهم يخافون من الفدائيين وجنودنا البواسل " .

طلب الشيخ سالم من ساري أن يذهب ويخلد للنوم ، فامتثل لأمره ، ولم يستطع الفتى أن ينام ، وبمرور الأيام كان ساري يرى الشيخ وهو يتسلل في الليل ، عزم الفتى أن يذهب خلف الشيخ ، وفي أحد الليالي مضى الشيخ، تحرَّك ساري بخفة ، وجد الشيخ سالم يتسلل مبتعداً عن المكان ، مضى ساري خلفه ، كان الشيخ سالم يمشي في طرق متعرجة وعرة ، تتبع ساري خطاه ، رغم أن الشيخ سالم كان ينظر في كل الاتجاهات ، للأمام والخلف واليمين واليسار ، لكنه لم يكتشف أن سارياً يتبعه ، لم يخف ساري من ضواري الليل وحيواناته المفترسة ، كان قلبه شجاعاً ، تابع ساري الشيخ سالم حتى وصل إلى مكان المعسكر المحطم، وفي لمح البصر اختفى الشيخ سالم .

استطاع ساري أن يحدد مكان اختفاء الشيخ سالم ، وجد ساري أشباحاً تتسلل في الظلام وتختفي في المكان نفسه ، تقدم ساري على أطراف أصابعه، أنصت بقوة، وصار ساري قريباً من المخبأ الذي تسللت إليه الأشباح ، سمع همساً لم يستطع أن يفهم من خلاله شيئاً ، اقترب ساري أكثر ، لم يدرك من الحديث شيئاً ، فاقترب أكثر، سمع أسماءً تتردد ... الفدائيون ... المحاصرون ... المؤنة ... الذخيرة ... الإشارة ، تقدَّم حتى وصل إلى نافذة صغيرة ، والتصق بالجدار ، فلاحظ بالداخل ضوءاً خافتاً ينبعث من خلف ستائر قماشية سميكة ، ما كاد يلمس حاجز النافذة بيده حتى قبضت عليه من الخلف يدٌ قوية ، كاد يصرخ ، أسرع الشبح وكمَّم فمه

بيده ، وحمله بين يديه ، دخل به الحجرة الصغيرة كانت دهشة الجميع كبيرة ، رفع الرجل - الذي قبض عليه - يده عن فم ساري ، وأنزله إلى الأرض ، نظر للجميع ، وجد أبيه بينهم ، فتح الأب ذراعيه ، فجرى ساري وألقى بنفسه في صدر أبيه ، سأله أبوه ألا يفعل ذلك ثانية ، صمت الفتى قليلاً ، ثم رفع رأسه قائلاً : " أبي ، أتمنَّى أن أدافع عن بلدي ... أكون فدائياً " ، نظر الرجال لبعضهم ، تهللت وجوههم ، قبَّله أبوه وسأله : " لكنك يا بني مازلت صغيراً ، ولا تستطيع حمل السلاح " .

بدون تردد أجاب ساري : " أستطيع أن أفعل أشياءً أخرى دون حمل السلاح يا أبي" .

صمت الجميع ، ماذا يفعلون مع هذا البطل الصغير ؟ كانت تواجههم مشكلة كبيرة ، فهُمْ لا يتحركون إلا في الليل ، تصلهُم المعلومات والأخبار بصعوبة كبيرة أو أحياناً تصلهم بعد فوات الأوان ، ابتسم أحد الرجال وتحدَّث بلهجة ليست بدوية رغم أنه يلبس ملابس البدو - كان أحد أبطال القوات المسلحة المصرية الذين يعملون خلف خطوط العدو - وقال : " نعم هناك عمل لا نستطيع أن نفعله بسلاحنا ، وأقوى من حمل السلاح " ، شرح قائد المجموعة لساري كيف يستطيع أن يصل إلى قلعة " الفارما " ، وكيف يتصل بالشيخ " زريق " الكفيف أحد مشايخ القبائل المصرية ، وكيف يكون رسولاً بينهم وبين الرجل ، فيأخذ منهم الرسائل والتقارير السرية ، ويأتي منه بالأوامر الصادرة إليهم من القيادة المصرية ، كان الشيخ زريق هو همزة الوصل بين الأبطال والفدائيين والقوات المصرية غرب قناة السويس .

ودَّع ساري أباه ، طلب أبوه منه أن يكون حذراً وألَّا يتحدث مع أحد بما يحدث ، عاد الفتى مع الشيخ سالم ، تسلل الفتى حتى نام بجوار أخته رضوى وأمه ، استيقظ ساري في الصباح سعيداً ، صنع له الشيخ سالم سروالاً بداخله جيب سري .

وضع الشيخ سالم الأوراق والرسائل بعد أن لفها بعناية داخل الجيب السري وارتدى ساري السروال ، صحب الشيخ سالم سارياً ، ركب كل منهما جمله ، كان الطريق غير ممهد ، والطرق وعرة ، فوجدت الجمال صعوبة في عبورها ، لكنها طريق لا تستطيع السيارات عبورها ، وحتى الطائرات وجدت صعوبة في أن تراقب السائر بها ، فهي عبارة عن سلاسل جبلية وشعاب بينها ، كان الشيخ سالم يشرح وساري يصغي إليه بكل انتباه ، استغرق سيرهما بضع ساعات ، وقبل الظهر أشار الشيخ لآثار قلعة " الفارما " ومنزل الشيخ زريق الكفيف ، والمنزل مصنوع من سيقان النخيل وبعض أغصان الأشجار ، ومنزل صغير متواضع ، ومن خلف البيت توجد منطقة محاطة بسور من الأسلاك هي منطقة ألغام .

وقف الشيخ سالم بعيداً ، وتقدَّم ساري صوب المنزل ، هبط من فوق الجمل ، وتقدَّم بخطوات ثابتة ، ألقى بتحية الإسلام ، ردَّها الشيخ ، وعرف الشيخ الكفيف أنه فتى صغير ، ظن أنه بحاجة لماء أو طعام ، أسرع الفتى ونطق بكلمة السر ، تعجب الشيخ ولم يصدق أن هذا الفتى الصغير هو رسوله ، سأل الشيخ : " مِن أين أتيت ؟ " .

أجاب ساري بدون تردد " من عند الشيخ سالم " ، ظل الشيخ زريق متردداً وسأل ساري ثانية :

" إذا قبض عليك جنود الاحتلال ماذا تفعل ؟ " ، أجاب ساري بدون تردد : " ولكنهم لم يقبضوا عليَّ بعد " ، كلما سأل الشيخ سؤالاً أجابه ساري بطلاقة ، ابتسم الرجل وقال : " وأين أمانتك يا بطل ؟ " .

نظر الفتى يميناً وشمالاً وفي كل الاتجاهات ثم رفع جلبابه ، أخرج الأوراق وسلمها للشيخ زريق .

حرَّك الشيخ مقبض عصاه فانفصل المقبض عن العصا ، كانت العصا مجوفة من الداخل ، ظهر خيط صغير ، شدَّ الشيخ الحبل ، فخرجت أوراق ملفوفة بعناية ، سلَّمها لساري ثم أمسك بالأوراق التي أخذها من الفتى ، وحشرها داخل العصا بعناية ، وأعاد المقبض لموضعه ، ودَّع ساري الشيخ زريق ومضى في طريقه، ودعوات الشيخ تباركه ، فرح الفتى فرحاً شديداً ، كم كان يتمنَّى أن يحكي لأخته رضوى ، لكنه تذكر حديث أبيه ، وهكذا أصبح ساري بطلاً من أبطال التحرير ، كان مراسلاً جيداً ، تحرك في وضح النهار ، وعرف الكثير عن جنود العدو .

مضت الأيام واستطاع الأبطال بمساعدة الرسائل والتوجيهات التي تصلهم أن يعرفوا الأماكن التي تُلقِي فيها القوات الجوية لهم بالسلاح والمؤنة ليواصلوا المقاومة، وكانت للرسائل التي يحملها ساري وتصلهم عن طريق الشيخ زريق دوراً مهماً ، فكانت تحوي صوراً للمواقع الحصينة التي يقيمها الأعداء وكذلك المواقع التي يستطيع أن ينفذ منها الجنود البواسل ، ويخترقوا الصفوف ويبادروا الأعداء بالضرب من الخلف ، مضت أعوام خمسة ، أصبح ساري موضع ثقة جميع الأبطال ، علَّمه الشيخ سالم الكثير ، عرف كلَّ طرق الصحراء ، عرف حتى لغة الأعداء ، وكثيراً ما كان يقابله جنود ومجندات جيش الاحتلال اليهودي ، فكان يبادلهم الحديث وكانوا يلاطفونه ، ويتقبل مداعباتهم حتى لا يكتشفوا أمره .

وفي منتصف شهر سبتمبر من عام ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعين ، طلب منه الشيخ سالم أن يذهب للشيخ زريق ، فهناك رسائل في غاية الأهمية سيأتي بها ، حذَّره الشيخ سالم كثيراً ، وألقى عليه بتعليمات كثيرة ، وقال له إن في هذه الرسائل حياتنا ، وإنها الطريق لاستعادة أرضنا ، شعر الفتى بالخوف ، مضى كعادته ، لم يحمل معه رسائل ليسلمها ما كاد يصل إلى بيت الشيخ زريق ، في أعقابه أسرعت أكثر من ثلاث سيارات محملة بجنود العداء ، توقَّف الفتى ، ألقى الشيخ زريق بالعصا بعيداً جداً ، استطاع الفتى أن يحدد مكانها ، أحس الشيخ بالخوف فهرب من الباب الخلفي ، أسرع الشيخ يجري في اتجاه حقل الألغام .

حاولوا أن يمسكوا به ، أطلقوا رصاصهم على ساقيه ورغم أن أحدها أصابته، إلا إنه واصل الجري وانفجر فيه أحد الألغام ، بكى الفتى ، وأسرع الجنود وقبضوا على ساري ، فتَّشوا كل قطعة في جسده ، فلم يعثروا معه على شيء ، ضربوه ضرباً مبرحاً حتى سقط الفتى ، وألقوا فوق وجهه المياه ، أفاق من غفوته ، أخذوا يسألونه عن معرفته بالشيخ زريق ، قال لهم : " إنني قادم ليصنع لي تعويذة ؛ فأختي مريضة" ، وصفوه بالجهل والغباء ، ضربوه ثانية ، وطلبوا منه أن يرحل ، فجروا بيت الشيخ زريق بعد أن فتشوه ، وركب ساري بعيره ، فقد كان متعباً للغاية ، ووصلت الأخبار للثوار أن الفتى هو والشيخ زريق لقيا حتفهما ، بكى الجميع ، لم يتحمل أبوه الخبر .

مع نسمات الفجر اقترب ساري من المعسكر المحطم ، فأسرع الأبطال مهرولين إليه ، فرحوا كثيراً ، كان الفتى على قيد الحياة ، وبيده عصا الشيخ زريق ، نام فوق صدر أبيه ، والعصا بيده ، وحرَّك مقبض العصا بصعوبة ، حتى انفصلت ، شدَّ

الحبل وأخرج الأوراق ، أخذ القائد يتصفح الأوراق على الضوء الخافت ، أخذ يقبّل سارياً ويردد : " الله أكبر الله أكبر " .

قصَّ عليهم الفتى ، ما كان من أمر الجنود ، وكيف ضربوه ، لكن لم يمضِ بعيداً، فتصنَّع الموت ، وظل طوال الليل حتى عرف برحيلهم ، وأخذ يبحث عن العصا حتى وجدها وأتى إليهم ، أشاد به الجميع ، وهنَّأوا أباه على بطولة ابنه البطل .

لم يمضِ شهرٌ واحد ، وفي يوم السادس من أكتوبر عبرت القوات المصرية ، حطَّمت المواقع الحصينة ، واستولت على المعدات ، وقهروا العدو ، وكانت الفرحة غامرة ، وتماثل ساري للشفاء ، ومازال ساري يعيش فوق أرض سيناء حراً طليقاً ، ومازال كثيرون يذكرون هذا البطل المغوار الصغير .

***

حكاية مسعود ...وابنه محمود

كان لمسعود الحطَّاب زوجة قاسية الطباع ، دائمة الشكوى من فقر زوجها، وكانت تكيل له السباب ، وتطالبه أن يشتري لها ما لذَّ وطاب .

كانت ظروف مسعود شديدة الصعوبة ... ولكنه كان طيباً ، في يوم يفيض الله عليه من رزقه ، يسرع في تلبية طلبات زوجته وحاجاتها ، فيشتري لها ما يفيض عن حاجتها !!! ورغم كل هذا ، لا يحظى برضاها ، ولا تطيعه ، ولا تستمع لنصائحه !!!

وذات يوم ... وهو عائد من عمله مهموماً ، حيث لم يرجع بكثير ولا قليل ، سمع صوتاً يستغيث به ويستجير !!! كان يعرف صاحبة الصوت ، فهي فتاة طيبة تُدْعَى " سمراء " تسكن بجواره ، وكانت تعيش مع أمها الفقيرة بعدما مات أبوها ، أسرع مسعود ناحية بيت سمراء ... وجدها خائفة مذعورة باكية ، ولا تدرك ما تفعل ، فأخذ يربِّت على كتفها ويسألها عمَّا بها ؟؟؟ فأجابته بأن أمها لا ترد عليها وهي نائمة !!! فنظر إليها مسعود وهي ممدَّدة فوق الفراش ، فعرف أنها فارقت الحياة ، فأخذ بيد السمراء ، وذهب بها إلى بيته ، وأكرم مسعود أمها في مماتها ، وشاركه الأهل والجيران رغم فقرهم جميعاً .

تمضي الأيام ... وتعيش سمراء بمفردها ، وتبيت في البيت خائفة مما يحمله الليل ، ويدرك مسعود ما تعانيه الفتاه من وحدة ، ويحاول مع زوجته أن تذهب لتؤنسها، ولكنها – كعادتها – لا تطيعه ، ولا تستجيب لرغبته .

كانت سمراء جميلة التقاطيع ، حلوة الحديث ، يحبها الجميع ، ويسعى لمساعدتها الكبير والصغير ، بينما كانت زوجة مسعود تصف سمراء بصفات سيئة ، ولكن مسعود لم يكن يستمع لهذا الحديث الملعون من زوجته ، بل كان يسأل عن سمراء الليل قبل النهار ، وإن رزقه الله خيراً دعاها للغذاء ، وكان يهبها –سراً – مما يرزقه الله تعالى .

كانت سمراء ترفض في حياء ، ولكنها كانت توافق تحت إلحاحه وإصراره ، وكانت زوجة مسعود تضيق بما يفعل ، ولكنها لا تبوح بمشاعرها !!! كانت هي دميمة ، أما سمراء فكانت جميلة ، كان حديثها صارخاً ، وحديث سمراء عذب رقيق !!! فكانت تغار من سمراء ، ولكن ماذا يمكنها أن تفعل ؟؟؟ اتهمتها يوماً بأنها سرقت أساور يدها !!! واكتشف مسعود بعد البحث الطويل أنها مخباة في حجرة الخزين !!! فثار في وجه زوجته ، وهدَّدها بأنه سيتركها ويفارقها إن فعلت ذلك ثانية ، خافت منه ، وأحست بالغيرة الشديدة من سمراء ، صارت تكرهها وتخاف منها ، ولكنها لجأت إلى حيلة غريبة ... إذ قصت على النساء عن حب زوجها لسمراء ، وتناقل الناس هذه الحكاية ، بينما مسعود لا يسمع ولا يدرك شيئاً مما يدور !!! فكان كعادته يجود بما رزقه الله ، ويفعل الخير ، لا يرجو من وراء ذلك سوى وجه الله !!!

وبمرور الأيام ... تأكَّد للناس كذب دعوى زوجة مسعود ، فمسعود يؤدي فرائض الله ، ويحافظ على الصلوات في مواعيدها ، ويخاف الله في عمله ويتقيه في كل أفعاله ، وكان يعامل سمراء كأخته ... أمَّا زوجته فمعروف عنها بخلها وسوء خلقها .

أحسَّت زوجة مسعود بأن أفعالها لم تأتِ بالنتيجة المرجوة ، فلم يبتعد زوجها عن سمراء الفقيرة الجميلة ، ولا يزال يساعدها ، وكان كلما رزق رزقاً ، يقول لزوجته : " هذا خير رزقنيه الله ، ولسمراء فيه نصيب بإذن الله " ، فكان صدرها ينقبض من

كلامه، وتتمنَّى أن تصرخ في وجهه - وتلعنه في سرها وتلعن سمراء - ولكنها وقد أصبحت تخاف منه لم تجد وسيلة خيراً من أن تتقرب لسمراء !!!

كانت سمراء طيبة القلب ، لا تعرف الحقد ، ولا مكان في قلبها للشر ، فكانت تساعد زوجة مسعود في أعمال البيت ، فتطهو الطعام لها ولزوجها، وتنظف البيت ، وتغسل الملابس والأواني ، وكانت تغمرها السعادة وهي تساعد زوجة مسعود ، وازداد حبها لها ، واعتبرتها كأختها ، فكانت تقصُّ عليها كلَّ ما يحدث !!!

ذات يوم ... حلمت سمراء حلماً غريباً !!! فقامت من نومها خائفة ، لم يغمض لها جفن حتى الصباح ، وفي الصباح ، أسرعت إلى زوجة مسعود وقصَّت عليها ما شاهدته في ليلها ، فقالت لها إنها رأت شيخاً وقوراً يلبس ملابس جميلة بيضاء ، ذا وجه جميل ولحية بيضاء كثيفة ، وفوق رأسه عمامة ضخمة خضراء ، فخافت ، فألقى الشيخ عليها السلام ، ودعا لها بالسعادة وطول العمر ، وأخبرها أنها ستكون أماً لملك البلاد ، وستكون هي الأميرة أم الملك السعيد ذي العمر المديد ، ثم ألقى عليها السلام وودَّعها واختفى في الحال !!!

سمعت زوجة مسعود الحكاية ، واستغربت الراوية ، وهنأتها ببشارة الشيخ ، وقلبها يلعنها ويلعن الشيخ ... ودارت في رأس زوجة مسعود الحكاية ، وذهب فكرها في كيفية الاستفادة فقررت شيئاً !!!

***

كان يحكم البلام ملك طيب القلب ، لكنه ضعيف ، وكان أخوه ولياً للعرش من بعده، يخاف أن تنجب زوجة الملك له ابناً فيرث العرش ، وكان ولي للعرش سيئ الطباع ، حاد المزاج ، لا يفكر إلا في نفسه ، ولا يحب عامة الشعب والبسطاء .

استأذنت زوجة مسعود في الدخول على ولي العرش ، وأخبرته خبر سمراء والنبوءة التي سمعتها وزادت عليها الكثير ، وحكت له عن جمالها، وكذبت عليه ، وادَّعت أنها تميل للملك ، وتتمنى أن تتزوجه ، ومن حقِّ الملك أن يتزوج مَن يشاء ، أمَّا ولي العرش ، فإن الملك هو الذي يختار له العروس .

أحسَّ ولي العرش في حكايتها صدقاً ، وخاف إن رآها الملك يوماً أن يتزوجها فتنجب له الوريث ، وبذلك تضيع عليه الفرصة في الجلوس على كرسي العرش ، فوهبها كيساً من المال ، وطلب منها أن تذهب في الحال .

ذهبت زوجة مسعود وهي مسرورة بكيس المال ، ومسرورة أكثر بمؤامرتها ، فقد عرفت أن وليَّ العرش لن يتركها في حالها ، وأنه سيفعل شيئاً مؤكداً ، وربما يلقي بسمراء في السجن ويتركها لتلاقي حتفها وتموت .

عاد مسعود من عمله ، وبصحبته كلبه الأمين ، كان مسعود مسروراً ، فرزق هذا اليوم موفور ، وزاد من سعادته أنه وجد زوجته ضاحكة الوجه مسرورة وكذلك سمراء ، فألقى عليهما التحية والسلام ، أمَّا كلبه الأمين فقد أخذ يتقرب إلي سمراء ويدور حولها ، وذيله يهتز في سعادة بالغة ، وهي تداعبه ، وتمسح على رأسه ، وأخبرته زوجته بما صنعته من طيب الطعام !!! واستغرب الأمر ، ولكنه حمد الله !!!

تناولوا طعامهم مسرورين ، وكانت سمراء أكثرهم سروراً ، ولم ينسوا نصيب الكلب، فكان له نصيب وافر ... أنهوا طعامهم ، وحمدوا اللهَ على النعمة ، وشكروه على الخير الوفير .

سمعوا طرقات على الباب ، أسرع مسعود بفتح الباب ، وقف وعلى وجهه علامات التعجب !!! فأمام الباب وقف ولي العرش ، وحوله الجنود والحراس والأعوان ، هبط ولي العرش عن جواده ، وسأله عن اسمه وأسماء أولاده ، فأخبره مسعود بأنه وزوجته فقط ولم يرزقهما الله الوليد بعد ، وفي اللحظة نفسها خرجت زوجته وسمراء ، فسأله ولي العرش عن كلٍّ منهما ، فأخبره بأن تلك زوجته ، أما الثانية ، فهي ابنة جيرانه وهي كالأخت له ولزوجته .

تقدم ولي العرش وتوجه بالسؤال لسمراء عن اسمها ، فأخبرته ، اقترب منها أكثر ، وسألها بصوت هامس عما حلمت به بالأمس ، فأخبرته سمراء بكل ما رأت ، فتأكد من صدق حديث زوجة مسعود ، نظر ولي العرش لوجه سمراء ، فتأكد من جمالها ، وعرف مدى حُسنها ، وتوقَّع أنه إن رآها الملك يمكن أن يتزوجها في الحال ، وقد تتحقق نبوءة سمعها بنفسه من زمن طويل ، قصها رجل مبروك وشيخ ضرير أن أم الوريث للعرش ستكون من عامة الشعب ، ومن أسرة فقيرة ، فخاف ولي العرش فقد يتحقق حلم الفتاة ، وتنجب للملك الوريث ، ويضيع من بين يديه الأمل الذي يسعى إليه ، وهو أن يكون الملك المنتظر لهذه البلاد .

أمر ولي العرش حراسه وأتباعه أن يأخذوا سمراء في الحال ، توسَّل إليه مسعود ، بل طلب منه أن يأخذه هو بدلاً منها ، فأخذ يضحك بصوتٍ عالٍ ، ولم يستمع لحديث مسعود المسكين ، وأمر الحراس بضربه ، فضربوه حتى كاد أن يموت .

حاول الكلب الأمين أن يدافع عن صاحبه وعن سمراء الجميلة ، ولكن الحراس ضربوه أيضاً ، فهرب مسرعاً بين المزارع إلي الغابة وهو مجروح الساق ، وألقى ولي

العرش كيساً آخر من النقود لزوجة مسعود ، ففرحت وهللت ، ودعت للوالي بطول العمر وكثرة المال ، أمّا مسعود فإنه أخذ ينظر إلى زوجته غير مصدق ما يحدث !!!

عرف مسعود الحكاية ، وعرف أن زوجته هي السبب فيما حدث له ولسمراء الفقيرة ، وبعد أن مضى الوالي حاول مسعود أن يضرب زوجته ، فصرخت بأعلى صوتها وهددته بأنها ستذهب لولي العرش في الحال وتخبره، فأقسم مسعود أن تكون هذه الحكاية هي فراق بينه وبين زوجته ، وتكون النهاية .

حمل مسعود متاعه ، وترك بيته ومضى لحال سبيله ، وعرف الجيران ما كان فغضبوا من زوجة مسعود ، ولكنهم خافوا منها ، ذهب مسعود بمتاعه إلى الغابة وهو يعاني أشد التعب من كثرة الضرب والإهانة !!! ... عثر على كلبه الأمين ، ووجد في ساقه جرحاً كبيراً ، فاقتطع من ثيابه قطعة، وبللها بالماء ، ونظّف الجرح، ووضع فوقه ضمادة .

نام مسعود نوماً عميقاً ، وقد تمدَّد بجواره كلبه الأمين ، فلما أصبح الصباح ذهب لعمله ، ومن خلفه كلبه ، فقابله أحد الحطَّابين وأخبره أن زوجته أقسمت أن تذهب إلى ولي العرش وتقص عليه ما كان من أمر مسعود ، خاف مسعود ، وسلَّم لله أمره وعزم على الهروب من هذا المكان ، فانطلق ومعه كلبه رفيقه في رحلته ، حتى وصل إلى أطراف الغابة ، وبعدها طريق طويل عليه أن يقطعه حتى يصل إلى الجبل الكبير الذي يخافه الناس ، ولا يقتربون منه لكثرة حيواناته الضارية المفترسة .

وفي الطريق ... وبالقرب من الجبل ، وجد فلاحاً يعمل في حقل ، فطلب الفلاح منه المساعدة ، وعمل مسعود مع الفلاح ، فأكرمه وأقامه عنده .

أما سمراء ... فقد أخذها حراس الوالي وألقوها في السجن ، كان الظلام حالكاً ، فأخذت تبكي وتدعو الله حتى غلبها النوم ، فشاهدت الحلم نفسه الذي رأته قبل ذلك ... صَحت من نومها واستغربت حالها !!! وعادت تدعو الله أن يفك أسرها ... ألقوا إليها بفتات الطعام وقليل من الماء ، حاولت أن تدعو الحارس ، فلم يلبِّ نداءها، يومان متتاليان ، وهي على هذا الحال ، حتى إذا كان اليوم الثالث طلب الملك أن يمر في السجن ويرى المساجين ، فلما علم الوالي بالأمر ، أسرع وأمر أحد حراسه وأتباعه أن يأخذ سمراء من السجن ، ويقيدها بالحبال ويضعها في أحد خراج الجمال ويحملها ، ويلقي بها هناك في الجبال فتأكلها الوحوش والذئاب ، فأسرع الحارس الخاص ونفَّذ أوامر الوالي في الحال ، فالوالي يخاف إن رأي الملك سمراء في السجن ، قد يسأل عن سبب سجنها ، ويرق قلبه لحالها ، ويعرف براءتها ، وقد يعجبه جمالها فيتخذها زوجة له، ويضيع منه كل شيء .

قاد الحارس جمله ، وفوقه حمله ، واخترق الغابة حتى وصل إلى أطرافها، ثم مر بالمزارع ، وعلى الرغم من أنه مر بالكثير من الناس في طريقه إلا إن أحداً لا يعرف ما يحمل جمله فوق ظهره ، وفي طريقه قابل الفلاح ومسعود الحطاب ، فطلب منهما قليلاً من الماء ، فشرب وشكر لهما ، ولم يكد يمضي في الطريق ومعه جمله بما يحمل ، حتى أخذ كلب مسعود يثور وينبح بقوة ، وكأن به مساً من الجنون ، لم يصمت الكلب رغم نداء مسعود !!! وفي كل مرة يسعى ليهاجم الحارس بأي طريقة ، ولكنَّ مسعود أمسكه بقوة ، ومنعه حتى أخذ الحارس طريقه ومضى .

رغم أن الحارس غاب عن العيون ، لم يزل الكلب ينبح بصورة غريبة ، ويئن بصوت مسموع ، فقد تمكن بحاسته الغريبة والعجيبة أن يشم رائحة سمراء السجينة ، ولكن صاحبه مسعوداً لا يعرف السبب !!! وبمجرد أن ترك مسعود كلبه الأمين أسرع يجري في أثر الحارث رغم أنه ابتعد كثيراً ... !!!

ترك مسعود الحقل ، وأسرع خلف الكلب ، كان الكلب لماحاً ذكياً ، فأبطأ في سيره حتى لحق به مسعود في الطريق ، فمضى الكلب في الطريق ، ومسعود يتبعه، حتى وجد الكلب يأخذ طريقه ناحية الجبل المهجور ، وهو يشم الأرض ، ويتأمل مسعود الأرض، فيجد آثار أقدام الجمل ، ورغم أن التعب نال من مسعود كثيراً ، فإنه لم يكل ، واستمر في السير ، حتى وجد على بُعْد الحارس يلقي ما فوق الجمل ، وعلى الفور ، سحب كلبه واختبأ في جوف مغارة ، وأغلق فمّ الكلب حتى لا يصدر صوتاً ، فيفطن الحارس لمكانهما ، ثم شاهد الحارس يسرع بالعودة في اتجاه الأرض الخضراء حتى اختفى .

أسرع مسعود ومعه كلبه الأمين الذي سبقه تجاه الحمل الذي ألقاه الحارس ، وما إن وصل الكلب إلى موضع الحمل حتى أخذ ينبح ويدور حول الحمل ، وكأنه يستحث مسعوداً بالإسراع !!! فأسرع مسعود حتى وصل ، وكانت المفاجأة ، التي لم يكن يتوقعها !!! ... وجد سمراء مكمَّمة الفم والعينين ، مكبلة اليدين والقدمين ، أخذ مسعود يفك قيودها ، ويحمد الله على نجاتها .

عزم مسعود على أن يمضي هو وسمراء والكلب إلى مكان بعيد ، حتى لا تصل إليهم يد الوالي وحراسه ، وصلوا إلى مكان بعيد ناءٍ بعد أن أجهدهم طول الترحال ،

فوجدوا قوماً طيبين ، فرحبوا بهم ، وقصَّ عليهم مسعود حكايتهم وما لاقوه من أهوال ومصائب ، فدعوهم أن يعيشوا بينهم كأهل وجيران ، فتهلل وجها مسعود وسمراء ، حتى بدا الكلب نفسه سعيداً ، لكنهم سألوه : لماذا لا يتزوج سمراء ؟؟؟ سأل مسعود سمراء ، فوافقت على الفور ، فأقام له القوم عرساً جميلاً .

فرح مسعود كثيراً ، وفرحت سمراء أيضاً ، وعاش كلٌّ من مسعود وسمراء والكلب حياة سعيدة ... وبعد مرور عام إلا قليلاً أنجبت سمراء ولداً جميلاً ، فأطلقوا عليه اسم محمود وعاشوا في سعادة وسرور .

أما الملك ... ففي الميعاد نفسه ، وبعد مضي عام ، أنجبت له زوجته طفلاً صغيراً ، ففرحوا جميعاً ، وأقيمت الأفراح والليالي الملاح سبعة أيام متتالية ، عمَّ فيها الجميع الفرح إلا أخا الملك ولي العرش اللئيم ، فإن الحقد أعمى بصيرته ، وصمَّم أن يفعل شيئاً !!! حتى لا يرث الطفل العرش بدلاً منه .

كان دستور المملكة يقضي بأن الملك لا يكون بوجهه أي تشويه !!! فأمر الوالي أحد خدمه أن يتسلل من بين صفوف الخدم ، فيدخل حجرة ابن الملك فيقطع أنفه !!! ... وتم حبك المؤامرة ، تسلل الخادم ، وكان الطفل الصغير نائماً في سريره ، وبسكين حاد قطع أنف الطفل الصغير ، لكن صراخ الطفل الصغير وصل للآذان ، فأسرعوا ، وأمسكوا بالخادم الذي حاول الفرار ، وأتى الملك مسرعاً ، وقد عرف الحكاية ، فأمر بتعذيب الخادم حتى يعترف بجريمته ، ولماذا فعلها ؟؟؟ فلم يتحمل الخادم التعذيب ، فقصَّ الرواية كاملة ، فاستغرب الملك الأمر ، وأمر بإعدامه في الحال ، أما ولي العرش ،

فقد خاف وحاول أن يهرب ، ولكن الميعاد قد فات !!! فأسرع وشرب كأساً من السم، ومات في الحال .

حزن الملك حزناً شديداً على وجه ابنه المشوه ، فكيف يصبح وريثاً للعرش ووجهه بلا أنف !!! ... وكان للملك وزير سيئ الطباع ، عديم الرحمة ، فأمر أن يقطع أنف كل مولود في البلاد ، مَن ولد مِن عام مضى ، ومن يولد بعد ذلك ، وبتلك الخدعة الماكرة يصبح ابن الملك هو الأحق بقيادة الجيش ووراثة العرش .

تمضي الأعوام ، ويكبر محمود بن مسعود ، ويصبح شديد العود قوي الجسد ، جميل الصورة ، يلعب بالسيف كالفرسان ، ويركب الخيل ، ويصيد الضواري ، ويساعد الفقراء ، ويحب الناس ، ويعيش بين أبيه وأمه في سعادة وحبور .

عزم الفتى محمود أن يذهب بعيداً ، يبيع ويشتري ، ويبادل الآخرين ، حاول أبواه أن يمنعاه ، ولكنه صمَّم على ما أراد وترك الأمر لمشيئة الله ، حمَّل حميره بالقمح والشعير، وما تجود به الأرض عندهم ، وذهب في طريقه البعيد ، وتشاء الأقدار أن يصل إلى موطن أبيه وأمه القديم !!!

في الطريق إلى السوق ، وجد الناس ينظرون إليه ، والشباب يضحكون ويسخرون، وهو ينظر إليهم ويستغرب أمرهم ، ويكتم ضحكاته وهو ينظر إلى أنوفهم المقطوعة !!! ... وصار محمود غريباً على كل الناس ، فاجتمع حوله الشباب ، وحاول أحدهم أن يتطاول عليه ، فلم يسكت ، وإنما رد عليه ، وحاول آخر أن يضربه ، فكان محمود أسرع منه ، وأسقطه فوق الأرض ، فتجمَّع الحراس وقبضوا عليه ، وعرضوه على الوزير الذي أمر بإيداعه السجن في الحال .

أصبح الملك طاعناً في السن ، وابنه يقود الجيش ، فقد كانت حرباً وشيكة على الأبواب ، فاجتمع الملك وحكماء القوم وشاورهم في الأمر ، قال الحكماء : " أن يقود الجيش قائد مطموس الأنف ، فهو فال سيئ ، فماذا يفعلون ؟؟؟ وقائد الجيش يجب أن يكون فتى في ريعان صباه ؟ خافوا جميعاً ، واختلفت آراؤهم ... قصَّ الوزير على مسامعهم حكاية الفتى الوسيم محمود بن مسعود ، وأنه قبض عليه وألقاه في السجن حتى يلاقي حتفه وهو بلا أنف مقطوع .

اجتمع الجميع على رأي واحد وأخير ... أن يخرج محمود ، ويقود الجيوش ، خاصة بعدما عرفوا أنه ذو جسم ممشوق ، ويجيد حمل السيف والرمح وركوب الخيل .

بأمر الملك أخرجوا محموداً وقلدوه السيف والدرع ، وقاد الجيش ، فأبدى شجاعة نادرة ، وقوة خارقة ، فاخترق صفوف الأعداء ، وأبلى بلاءً حسناً ، بل أحسن البلاء ، وصار الجميع يتحاكون ببطولاته ، فعاد والنصر حليفه ، عاد مرفوع الهامة ، فأقيمت الأفراح ، وأقر الجميع بأحقيته بقيادة الجيوش ، وخلع عليه الملك التاج وقلده الإمارة وولاية العرش تحت شرط أن يتزوج ابنته البكر " قمر الزمان " ، ولكن محموداً طلب مهلة من الوقت حتى يأتي بأهله وذويه من الوادي البعيد المهجور .

حمَّلوه بالهدايا وصاحبه الحراس ، وذهب في موكب طويل لا تدرك العين نهايته ، خاف أهل القرية ، وخاف أيضاً مسعود وسمراء حتى ظهر لهم محمود في مقدمة الصفوف ففرحوا به ، ولم يصدقوا ما يرون ، فقصَّ عليهم الحكاية ، وأقام بينهم عدة أيام ، ووهب الفقير والغني مما حمله من الهدايا والخيرات ، ففرح الناس ، وأقيمت الأفراح ، حتى عاد ومعه مسعود وسمراء في ملابس الإمارة وحولهما الخدم والحراس .

هبط الجميع موطنهم القديم ، ففرح مسعود وسمراء ، وقبّلا الأرض التي ولدا فيها ، وأقيمت الأفراح ، وتزوج محمود قمر الزمان .

مات الملك ، وأصبح محمود الملك بموجب شريعة البلاد ، وذهب مسعود وزوجته سمراء إلى منزل مسعود القديم ، فوجد زوجته القديمة تعيش في بؤس شديد ، وقد فقدت نور عينيها ، فوهبها من المال الكثير ، وأحضر لها خادمة تقوم على خدمتها ، وعادا إلى قصر الملك الجديد ابنهما محمود ، وأقاما في سعادة غامرة ، وطلبا من ابنهما أن يحكم بعدل الله ، وأن يساعد الفقراء ، وأن يذكر قدرة الله في الليل قبل النهار .

فقام محمود ، وسجد لله ، وأقام الصلاة ، وعاهدهما على فعل الخير وما أمر الله .

***

فرسان طيبة

عاش بمصر القديمة فرعون طيب القلب ، كان محباً للناس ، فتح باب قصره لكل أبناء الشعب ، كان عادلاً يكره الظلم ، وقائداً ماهراً ، حقق انتصارات عديدة ، ووصلت فتوحاته حتى بلاد الشام وفلسطين ، لم يبخل على جنوده ، فأغدق عليهم الأموال والذهب والفضة ، وكان يستمع لكل الرعية ، يرفع الظلم، وينصر المظلوم ، وحتى اليوم مازالت صوره الجميلة بألوانها كما هي فوق جدران المعابد الفرعونية ، وهو جالس وزوجته الملكة ومن حولهما أولادهما .

ازدهرت البلاد في عهده ، وفاض النيل " حابي " بعطاياه ، فنثروا حبوبهم في الأرض ، وفي وقت الفيضان يتوقف العمل في الزراعة ، فيسرع الناس في تقديم الهدايا للملك المحبوب ، فيصنعون له التماثيل والتمائم الكبيرة والصغيرة ، يتقبلها منهم الملك بصدرٍ رحب ، وتقام حفلات السمر في القصر الملكي الفخم ، يذهب الجميع إليها ، يفرحون ويمرحون ، فكانت كل أيامه رخاءً وخيراً .

كل أبناء الشعب يحبونه ، لكن الكهنة وحراس المعابد يضيقون بأفعاله ، فهم يفضلون أن يكون الملك بعيداً عن الرعية حتى يكسبوا مزيداً من الذهب وتزداد سطوتهم وقوتهم ، فيتقبلون القرابين التي يقدمها أفراد الشعب في المعبد خوفاً منهم واتقاءً

لشرهم وسحرهم ، أما اليوم فالناس لا يهتمون بهم ولا يسعون لإرضائهم ، لم يعجب هذا الأمر الكهنة ، لكن ماذا يفعلون ؟ ... فكروا أن يتحدثوا مع الملك ولكنهم خافوا، وبعد تردد تجرأ كبير الكهنة ، ودخل على الملك في قاعة العرش الضخمة ، فوجده جالساً والملكة بجواره وملامح البشر والفرح فوق وجهيهما وهما يداعبان أبناءهما ، تقدم الكاهن بعد أن قدَّم فروض الطاعة والولاء وانحنى أمام الملك ، فأذن له الملك بالجلوس وطالبه بأن يتحدث بما يريد ، تصنع الكاهن الأكبر الخوف على حياة الملك مِن فتح باب القصر على مصراعيه أمام الرعية ، فربما يكون هناك إنسان يغدر به ... ، يضحك الملك وكذلك الملكة ، ويقول لكبير الكهنة : " أتمنى أن يحبني الناس " ، فيرد الكاهن بقوة " يا مولاي يهابك الناس أفضل من أن يحبوك ... يجب أن يهاب الشعب الملك ... يخافونه ... يخشونه ... يجب أن يرى الجميع سيف الملك ... " ، ضحك الملك وهو يقول : " قال رع : خلقت الأنهار كي يستخدمها العبد والسيد العظيم ... وجعلت كل إنسان مثل أخيه ونهيتهم عن فعل الشر ... وأنا أفضل الحب عن الخوف ... والعدل عن السيف " .

تبتسم الملكة وتقول : " يعيش صاحب الكلمة الطيبة والفعل الطيب بين الناس بالحب ... وليس بالسيف يا مولاي الملك " .

حاول الكاهن بكل الطرق أن يبعد الملك عن الرعية ، فلم يستمع له الملك ولم يتغير عما هو مألوف عنه ، بعد حديث طويل لم يجد الكاهن سبيلاً ؛ فخرج وهو يلعن الملك في سره ...

كان أفراد الشعب يلجأون إلى الكهنة في كل أمور حياتهم ، وفيما ينشب بينهم من خلافات ومقابل ذلك يدفعون ، ويقدمون القرابين حتى ترضي عنهم الآلهة كما يعتقدون ، ولكن يأخذه الكهنة ، فمَن يريد الزواج ومَن يذهب للحرب ومَن يتمنَّى شيئاً ما يدفع حتى ينال ما يطلب ، أما اليوم فأبواب قصر الملك مفتوحة لمَن يريد .

اجتمع الكهنة مع كبيرهم ، شكوا له قلة مواردهم ، وأن الشعب هجرهم ولا يهبهم الهدايا مثل العهود الماضية ، ويرجع كل هذا للملك ، فكلما تقرب الملك من الرعية فإن الناس يبتعدون عن الكهنة ، دار حديثهم فيما بينهم في كيفية إبعاد الملك عن الشعب والرعية ومتى لا يفتح أبواب قصره أمامهم ، أخذوا يستعرضون الطرق الممكنة ، فاقترح أحدهم أن يساندوا أخاه الأصغر ، فيتولى العرش ويسقطونه ، صمتوا وظهرت الإجابة على وجوههم فالملك ذو شخصية قوية وليس سهلاً أن يتنازل عن العرش لأخيه الأصغر ، وهو غير أهل لهذا المنصب ، طرح آخر فكرة أن يقوم أحدهم بدس السم في الطعام المقدم للملك ، نظر كل منهم إلى الأخر ، تملكهم الخوف وهو يسألهم " مَن يقوم بهذا العمل؟ " رفضوا جميعاً الفكرة ، طلب منهم إقناع أحد الخدم لكن كل خدم القصر يحبون الملك ، وربما علم بمخططهم ويومها يذيقهم العذاب ، طرحوا العديد من الأفكار ولكنها صعبة التنفيذ عليهم ، بعد صمت تحدث كبيرهم فأنصتوا له وهو يقول " ليس أمامنا سوى شيء واحد ... ندفعه للحرب ، وفي الحرب يخسر الجميع ، لن يكون لديه وقتٌ ليستمع للشعب ، ولن يفكر في فتح أبواب القصر ، يومها يستعد للحرب وقد يسافر بعيداً ، في هذه الحالة يعود لنا السلطان القديم ، ويأتي

الناس بالقرابين والهدايا إلينا " ، استحسنوا الفكرة وعقدوا العزم على تنفيذها ، جلس الكهنة وكبيرهم مع الملك ، أخذوا يقصون حكايات غريبة على مسامع الملك ، قالوا أن جيوشاً من الشمال ستغزو البلاد وأن النجوم أخبرتهم ، طال الحديث وامتد ، لكنهم استطاعوا إقناع الملك في النهاية .

شعر الملك بالقلق ، ظل ساهراً طوال الليل ، يعلم أن الحرب دمار وخراب ، ويومها يموت الكثير من الشباب والرجال ، وتعم الفوضى البلاد ، شاركته زوجته الملكة فظلت ساهرة بجواره ، وكانت بدورها تتمتع بقدر وافر من الذكاء والحكمة ، تبادلا الحديث معاً وتناقشا فيما يقوله الكهنة عن الحرب القادمة ، الملك يستبعد هذه الحرب ، فالملك يقدم المعونة والمساندة للبلاد المجاورة ، ولا يعتدي على الآخرين ولا يسلب أحداً ملكه أو أرضه ، وعندما تمتلئ صوامع المملكة بالغلال فإنه يرسل القوافل المحملة للبلاد المجاورة .

تبادل الملك والملكة الآراء ، طلبت الملكة من الملك ألا يعد جيشاً كبيراً ، وأن يذهب بعض الفرسان الشجعان لكي يستطلعوا الأمر ، فربما كذب الكهنة ، استحسن الملك فكرتها وعادت الابتسامة فوق وجهه وتهللت أساريره وشكرها لرجاحة عقلها .

في الصباح حضر قائد الجيش لمقابلة الملك الذي أرسل إليه ، طلب منه الملك أن يجمع أفضل فرسان المملكة ، استغرب القائد ولكنه أطاع أمر الملك على الفور ، وفي وقت السلم لكل فارس عمل آخر ومهنة يزاولها ، أخذ الدعاة يدعون أن يرتدي الفرسان زيهم ويعدوا عدتهم ويذهبوا إلى قصر الملك ، أحس الناس أن هناك شراً ، عمَّ الحزن

أرجاء البلاد ، فودعت الأم ابنها والزوجة زوجها ، وتوقفت حفلات السمر واللهو ، فرح الكهنة فرحاً كبيراً ، فذهب الناس إليهم أفواجاً ، وقدموا القرابين والهدايا للكهنة وطلبوا منهم أن يدعوا لأبنائهم وبلادهم بالنصر على الأعداء .

بعد مضي أسبوع تجمع أقوى الفرسان في الميدان الضخم أمام ساحة القصر الملكي ، استعرضوا قدراتهم في المبارزة واستخدام السيف والرمح وقيادة العجلات الحربية ، بينما كان الملك يقف في شرفة القصر يتأمل وجوه الفرسان ويفرح كثيراً لقدرتهم ، ففي وقت الحرب يصبحون كالأسود في مقابلة الأعداء ، عشرة أيام متتالية في اختبارات ، اختار الملك من بين صفوت الجند سبعة من الفرسان ، شهد الجميع بقوتهم ومهارتهم ، تقدموا الصفوف وقدموا دلائل الولاء والطاعة للملك ، بعدها أخذوا يستعرضون قدراتهم الفائقة في فنون القتال المختلفة ، فكانوا يسابقون الريح بخيلهم ، ويصيبون الأهداف بدقة متناهية ، وصفق لهم الجميع ، واختار الملك منهم قائداً كان معلماً للتلاميذ وقت السلم ، طلب منهم أن يذهبوا للحدود ويتأكدوا من حقيقة الجيوش ، ودَّعهم الملك وقائد الجيوش وعامة الشعب ، ومضوا في طريقهم في زهو وخيلاء .

توالت الأيام والشهور وانقطعت أخبار الفرسان ، ولم يأتِ أي خبر عنهم ، هلل الكهنة في السر ، وشعروا بأن خطتهم نجحت وادعوا أن الفرسان قتلوا ، وأكدوا أن الحرب قادمة ، وسيهلك الملك ويعم الخراب ، ومن جديد عاد الناس إليهم ليدعون لهم ويقدمون لهم الهدايا والعطايا ، استمر الجيش في التدريب ، شعر الملك بأن الحرب قادمة ، هو شجاع لا يخاف الموت ، يركب عجلته الحربية ويكون أول الصفوف ،

معروف عنه قوته وبسالته ، اجتمع الكهنة بالملك ، وطلبوا منهم أن يسرع في ملاقاة الأعداء الغزاة .

أعطى الملك أوامره لقائد الجيوش بالاستعداد ، في خلال شهر استعد الجيش ، ارتدى الملك لباسه العسكري ، ارتدى الجنود ملابسهم وأخذوا أسلحتهم ، وقفت الملكة والأبناء في شرفة القصر يودِّعون الملك وجيشه ، كان الملك في مقدمة الصفوف بعربته الحربية ومن حوله قائد الجيش وقواد الفصائل ، دوَّى نفير الحرب وتحرك الركب ووقف الآلاف من الناس يدعون لهم بالنصر على الأعداء ، وفرح الكهنة كثيراً ، أقاموا فرحاً خاصاً بهم في المعبد الكبير ، فشربوا الخمر وهنَّأ كل منهم زميله .

سار الجيش بمحاذاة النيل ، وعلى طول الطريق يتجمع الرعية ويحيون الملك وجيشه ، بعد أسبوع كامل وفي الطريق أعلن فرسان المقدمة عن قافلة صغيرة قادمة ، أمر الملك قائد الجيش أن يتوقف الركب ، اقتربت القافلة أكثر ، لم يصدق الجميع عيونهم ، هبط الفرسان السبعة عن جيادهم ، قدموا التحية للملك وقواد الجيش ، ونفى قائد الفرسان وجود أي جيوش مغيرة ، تهلل وجه الملك ، وأصدر أوامره بالعودة على الفور .

سمع الكهنة بعودة الجيش ، عقد الخوف لسانهم ، وأسرعوا يرتدون ملابسهم ، ويعجلون بالعودة لقصر الملك ، كانت الملكة وأبناؤها أكثر سعادة بعودة الملك ، في الميدان الضخم ، تجمَّع الناس ووقف الكهنة في المقدمة ، وفي المواجهة الملك وقوَّاد الجيش وفي المقابل وقف الفرسان ، طلب الملك من الجموع الصَّمْتَ ، وأن تسمع من قائد الفرسان ما حدث ، توجَّه الملك بسؤال قائد الفرسان : " ماذا وجدتم ؟ " أجابه

المعلم : " لم نجد يا مولاي عدواً ، ولم نجد جيشاً ، ولكننا وجدنا قوماً عراةً مساكين ، يأكلون أوراق الشجر ، لا يجدون قوت اليوم ، لا يستر جسدهم سوى قليل من جلود الحيوانات ، تهاجمهم الضواري المفترسة وتقتل منهم الكثير " ، سأله الملك من جديد : " وماذا فعلتهم ؟ " ، أشار قائد الفرسان للفارس الأول قائلاً : " هذا يا مولاي حداد بارع علمهم كيف يصنعون فأساً ، وكيف يصنعون رمحاً "، ثم أشار للفارس الثاني " وهذا يا مولاي فلاح علمهم كيف يزرعون الأرض بالقمح والغلال ، وكيف يحفرون بئراً " ، ثم أشار للفارس الثالث " وهذا يا مولاي صائد ماهر علمهم كيف يصيدون الضواري والحيوانات والطيور ... " ، ثم أشار للفارس الرابع " وهذا يجيد صناعة النسيج ، علمهم كيف يصنعون ثوباً من الكتان ، ومِن وَبَرِ وجلود الحيوانات ... " ، ثم أشار للفارس الخامس قائلاً : " وهذا وقت السلم يجيد طهو الطعام ، فعلمهم كيف يشعلون النيران ، وكيف يطهون طعامهم ... " ، ثم أشار للفارس السادس قائلاً : " وهذا تلميذ سيد البنائين قائدنا رمسيس الملك ، ويعمل بالبناء ويجيد تشييد المساكن والقلاع ... علمهم كيف يبنون مسكناً يحميهم من الضواري ، يقيهم الرياح والعواصف والأمطار ... " .

أكلت الغيرة قلب الكاهن الأكبر ، فعودة الفرسان على هذه الصورة لا تعني أن هناك حرباً ستقوم ، وسيظل الملك فوق العرش ، ولن يذهب إليهم الشعب ، صرخ بأعلى صوته وسأل الفارس القائد المعلم ... " وأنت ماذا فعلت ؟ " ، فأجابه الفارس بأنه معلم وأنه علمهم وعلَّم أبناءهم كيف يكتبون ، وعلمهم الحكمة التي تعلمها من

الملك الصالح ، وأنه أخبرهم بأنهم بشر مثلهم وأنهم يحبون كل البشر ويقدمون الخير ويعشقون السلام ، ويحبون العدل والخير للجميع ... كما يقول الحكيم " أون " : " لا تطمع فيما يملك غيرك ... ودع أخاك يشاركك ثروتك ولا تتخطَّ حدود جارك ... " .

صرخ الكاهن الأكبر ، وقاطع الفارس وهو يتحدث ، وأخذ يبكي ويقول : " غداً يا مولاي ... غداً يا شعبَنَا العظيم ... سيهجمون على وادينا مثل الجراد ... علموهم كيف يُقَاتِلُوْنَ وكيف يبنون ؟ هل ذهبوا يقاتلونهم أم ذهبوا يطعمونهم، غداً ستبكي إيزيس حتى تجف دموعها ، ولن يأتي النيل العظيم " حابي " بالخير .... هؤلاء الفرسان أوغاد ... خانوا الأمانة ... " ، أخذ الكاهن يردِّدُ كلماته ويسوق الأدلة والبراهين ، استطاع إقناع الشعب والجنود والقواد بأن الفرسان ارتكبوا شراً كبيراً ... ، رغم أن الجميع يعرفون مهارة هؤلاء الفرسان وحبهم للملك ، حاول قائد الفرسان أن يدافع ، لم تستمع الجموع له ، فقد كان الكاهن الأكبر بارعاً ، واستطاع أن يلهب حماس الشعب ضدهم ، أخذت الجموع تهتف للكاهن وطالبوا بعزل الفرسان ، وآخرون طالبوا بسجنهم ، ورغم اقتناع كلٍّ من الملك والملكة بما فعله الفرسان فإنهم استجابوا لرغبة الجموع ، وطلب الملكُ عقدَ محاكمة للفرسان .

كانت المحكمة من الكهنة وأتباعهم ، وبسهولة استطاعوا أن يدينوا الفرسان ، وصدر الحكم ضد الفرسان ، وصدر القرار بسجنهم ، دافعوا كثيراً عن أنفسهم ، ولكن دون جدوى ، حزن الملك والملكة للحكم الذي استصدره الكهنة ضد الفرسان .

مضى عام والفرسان في السجن ، وفي يوم من الأيام أبصرَ الناسُ قافلةً ضخمة محملة بأشياء كثيرة ، فأسرع قائد الجيش واستقبل القافلة ، طلبوا منه أن يذهبوا للملك مباشرة ، قاد قائد الجيش كبيرهم للقصر الملكي ، ودخل الضيف الغريب إلى قاعة العرش ، فقدم فروض الطاعة والولاء بين يدي الملك ، لم يعرف الملك الزائر الغريب ، فلم يشاهده من قبل ، استأذن الغريب من الملك في دخول بعض الصناديق ، أذن له الملك ، دخل عدد كبير محملاً بالصناديق ، وأخذ الزائر الغريب بفتحها واستخرج منها هدايا ثمينة من الذهب والفضة والأحجار الكريمة التي تخطف الأبصار من الياقوت والزمرد والزبرجد ، أشياء كثيرة حازت إعجاب الملك والملكة والقواد ، ومن بين الهدايا الطيور الجميلة ذات الأشكال المتعددة ، وطيور مغردة في أقفاص ذهبية جميلة ، وملابس منسوجة بدقة ، وفراء جميل لثعالب الصحراء .

علامات الدهشة فوق وجوه الجميع بما فيهم الكهنة ، أخذ كبير الكهنة يشيد بالهدايا وكذلك القواد ، أشار الملك لكبير الكهنة ، فتقدم إليه ، وسأل بصوت هامس هل يعرفون هذا الزائر الغريب ، ومن أي مكان جاءَ، لم يعرف الكاهن الأكبر ولم يعرف أحد من القواد ، زادت حيرة الملك والملكة ، هدايا كثيرة وأشياء ثمينة بهرت العيون .

أخبرهم الزائر بأن هناك قافلة محملة بالحبوب والثمار والفاكهة ، أمر الملك بإقامة الحفلات والموائد وإطعام كل الناس من أغنياء وفقراء ، سأل قائد الجيش الزائر عن بلده وموطنه ، فأخذ الزائر يعرفه بموطنه ، تحدث عن فرسانهم السبعة ، وكيف غيَّروا حياتهم وكيف علموهم الزراعة والنسيج والبناء والقراءة والصيد، أشاد الزائر

بالفرسان السبعة ، أسرع القائد وأخبر الملك ، والدهشة فوق وجهه ، فرح الملك والملكة ، طلب الملك من الزائر الغريب أن يقص على جميع الموجودين سبب زيارتهم وهداياهم .

تحدث الزائر وأعلن أنهم قادمون ؛ ليقدموا فروض الولاء للملك وللفرسان الشجعان، ويشكروهم على ما قدموا إليهم ، لم يصدِّق كبير الكهنة هذا الحديث، كان حَقُوداً بطبيعته ، خاف على مكانته ، أخذ يتَّهم الزائر ومَن معه بالعداء ، وحذَّر الملك والقوَّاد من قبول هداياهم ، ثار الملك بسبب حديث الكاهن الأكبر، وتطاوُلِهِ على الزائر ومَن معه ووصفهم بالأعداء ، تأكَّد الجميع أن الزائر لا يحمل سوى الحب والخير والسلام وقادم ليشكر الجميع ، أمر الملك بإطلاق سراح الفرسان ، ووهب لكل فارس مزرعة بجوار النهر ، أقام الملك فرحاً كبيراً للفرسان والزائر ومَن معه ، فأقيمت الأفراح ، وطلب الملك محاكمة الكهنة ، فخاف أحدهم من بطش الملك ، فَقَصَّ على الملك كلَّ شيء ، فعرف الملك حقيقتهم وعلم بمكائدهم وشرورهم ، فأودعهم السجن واستبدلهم بآخرين ، وقال الملك للشعب :

" ليس الفارس سيفاً ... لكن قلب إنسان " .

" يجب أن يَزرعَ الخيرَ قبلَ أنْ يُرِيْقَ الدماءَ " .

وعاشت البلاد كلها في سعادةٍ وخيرٍ .

❊❊❊